فتشوا الكتب

رقم ٣٢

فتشوا الكتب

العودة إلى بيت إيل

تأليف

ف . ب . ماير

الطبعة الثانية

١٩٧٦

لجنة خلاص النفوس للنشر

العودة إلى بيت إيل

تأليف

ف . ب . ماير

الطبعة الثانية

١٩٧٦

يطلب من
لجنة خلاص النفوس للنشر
١٢ شارع قطه بشبرا مصر

باسم الآب والابن والروح القدس
إله واحد . آمين

مطبعة الخلاص

مقدمة

إعترف أحدهم بأنه فى منتصف عمره كان أبعد من السماء عما كان عليه وهو صبى صغير . ولعل الكثيرون من قراء هذا الكتاب يجب أن يقدموا نفس هذا الاعتراف . وإن كان الأمر كذلك فسوف يجدون أهمية خاصة فى العظة الأولى من هذه السلسلة من العظات . لكننى أعتقد بأن العظات الباقية سوف تعلمنا كيف يمكن أن نسلك مع الله عن قرب ، لكى لا يكون هنالك مجال لذلك السقوط المتكرر المزعج . إننا نستطيع بقوة الله أن نخلص من الخطية المعروفة ، حتى مع احتياجنا المستمر لدم المسيح .

ف . ب . ماير

الفصل الأول

قم اصعد إلى بيت إيل

« ثم قال الله ليعقوب قم اصعد إلى بيت إيل وأقم هناك واصنع هناك مذبحاً لله... فقال يعقوب لبيته ولكل من كان معه اعزلوا الآلهة الغريبة التي بينكم وتطهروا »
(تك ٣٥ : ١ و ٢)

ليست بيت إيل سوى أرض قفر تعلو عن سطح البحر حوالى ألف وخمسمائة قدم ، والكلمة « بيت إيل » تعنى « بيت الله » . ولعلنا نتساءل ولماذا سُمِّيت بهذا الاسم ؟

قبل النطق بالكلمات السابقة بثلاثين سنة أتى يعقوب إلى هناك فى الليلة الأولى من تغربه عن وطنه ، إذ كان هارباً من بيت أبيه لتجنب غضب أخيه عيسو . لقد كان شريداً طريداً ، يحمل عصا فى يده ، لا يرافقه أحد لحمايته ، ولا يحمل شيئاً من العتاد . وإذ وصل إلى ذلك المكان القفر افترش بعض الحشائش ونام عليها . كانت النجوم فوقه ، والرياح تهب على القفر . كان آخر ما رآه هو تلك الأحجار المتناثرة حوله ، وإذ نام رأى أن

هذه الأحجار تكدست الواحد فوق الآخر ، إلى أن صارت أشبه بسلم تصعـــد عليه الملائكة وتنزل ، تنزل حاملة إليه البركات ، وتصعد إلى الله حاملة إليه الصلوات . هناك سمع صوت الله ، وإذ أشرق نور الصباح ،وزالت الرؤية ، وأنارت الشمس العالم ، نذر نذراً ، بأنه منذ تلك اللحظة سيكون الرب له إلهـاً ، ويكون هو عبده الأمين .

إننى أود أن أعود بكم إلى الأيام السالفة ، ربما منذ ثلاثين سنة أو أقل ، عندما غادر الواحد منكم بيت أبيه فى إحدى القرى كشاب أو شابة ، وأتى إلى مدينة كبيرة . أتذكرون ليلتكم الأولى هناك ، وغرفة النـــوم الصغيرة التى جثوتم فيها لتلاوة صلاتكم المسائية ، وكيف شعرتم بالوحـــدة والوحشة ؟ وإذ بقى الواحد منكم فى جو العبادة الخشوعية بدا لكل منكم بأن إلـه آبائكم قد اقترب جداً إليه ، وتكلم إلى قلبه ، فوعد بأنه منذ تلك الليلة سيكون عبده الأمين ، مستعداً لإتمام إرادته إلى التمام.

إننى أود أن أعرف إن كان هذا النذر قد تم ؟ هل غابت عن عيونكم تلك الرؤية الملائكية ؟ هل تلاشى فى الظلام ذلك

السلم ؟ هل نسيتم عهدكم الخطير ، أو على الأقل تناسيتموه ؟

تلك الشابة قد حصلت على مركز ما ، وللحال وجدت شاباً يحبها فتزوجها ، وصعد الاثنان على سلم السعـادة . لقد أصبحت الآن ربة بيت جميل ، فغاب عنها ذلك السلم الملائكى الذى كان يربطها بإلهـاً . لقد انجرفت فى تيار ومسرات العالم . لقد أصبحت الآن أبعد مما كانت عليه فى تلك الليلة الجميلة منذ بضع سنوات .

وذلك الشاب قد أصبح شخصاً بارزاً فى المجتمع . إنه يزداد ثروة بسرعة ، لكن ذلك النذر قد أغفل وأصبح الآن أبعد عن إلـه أبيه مما كان فى تلك الليلة التى بدأ فيها تغربه إذ كان وحيداً.

إننى واثق تماماً بأننى أتحدث الآن إلى أمثال يعقوب الذين يحتاجون إلى سماع دعوة الله قائلة لهم :

« قم اصعـــد إلى بيت إيل . أخرج إلى القفر . إرجع إلى حيث كنت منذ ثلاثين سنة . وعند قدمى سلم الشركة مع الله جدد العهد معه ، وكرّس حياتك لخدمته » .

إرتحل يعقوب من بيت إيل إلى فـــدان آرام حيث التقى براحيل التى أصبحت زوجته الجميلة . لقد أحبها منذ النظرة

الأولى ، ومكث فى فدان آرام يخدم سبع سنوات من أجل ليئة ، وسبع سنوات أخرى من أجل راحيل ، وست سنوات من أجل غنمه ومواشيه . لكنها كانت كأيام قليلة من أجل محبته لراحيل. وبعد ذلك بدأ يرتحل للعودة إلى بيت أبيه بثروة طائلة . لقد وجد صعوبة فى ترك لابان ، وتذكرون كيف أن ملائكة الله أحاطت به لحمايته ، مع أنه لم يكن أهلاً لتلقى معونتهم . هذا الرجل الذى رأى الرؤية الملائكية انحطّ ، إذ كان فى خدمة لابان ، ليفعل أشياء لا تليق بأولاد الله . ولعلكم أنتم الذين قطعتم على أنفسكم عهوداً كثيرة تفعلون الآن أشياء لا تخفى عن أعين ملائكة الله ، ولا تليق بمركزكم كأولاد لله .

المصارعة عند مخاضة يبوق

وعلى أى حال فإن الله أحب يعقوب هذا ، وأتى به إلى يبوق . إننى أعترف بأننى شخصياً ذهبت إلى يبوق ، لا حرفياً ، بل فى الروح ، لأن الله لا يطيق أن يرى أى واحد منا يحيا حياة وضيعة . دعونا نصور هذا المنظر .

كانت النجوم تتلألأ فوقه ، والنهير يندفع نحو نهر الأردن ،

والأشجار تحيط به . لقد سارت أمامه راحيل المحبوبة ، وليئة مع أولادها ، والغنم والماشية ، وبقى يعقوب وحيداً . والتقى به ملاك الله (تك ٣٢ : ٢٤) كثيراً ما نستخدم هذا المنظر كرمز للجهاد فى الصلاة ، لكنه فى حالة يعقوب لم يكن مجرد جهاد . يبدو لى أنه لم يكن يعقوب هو الذى صارع الملاك ، بل كان الملاك هو الذى صارع يعقوب . كأن الله عرف بأن هذه هى فرصته الوحيدة. لقد أراد أن يرفع يعقوب إلى حياة ملكية جديدة ، ولهذا صارعه فعلاً كأنه يريد أن يلزمه بتسليم نفسه له . كان يعقوب شخصاً متكبراً ، اتخذ موقف العناد ، قاوم مجهود الملاك الذى أراد أن يجعله متواضعاً ، فجاهد مقاوماً ملاك محبة الله . وعندما مدّ الملاك يده ، ولمس عضل فخذه الذى انكمش فى الحال ـ عندئذ فقط لم يعد بعد قادراً على المقاومة ، ولذا طوّق الملاك بذراعيه وقال :

« خضعت ، خضعت . ولكننى لا أطلقك إن لم تباركنى ».

فباركه الملاك وقال له : « ما اسمك ؟ » .

فأجابه : « اسمى يعقوب ، المخادع ، المكار ، المخاتل ، الوضيع » .

وعندئذ قال له الملاك : « لا يُدعى اسمك فيما بعد يعقوب بل إسرائيل . إن الله يريدك أن تترك كل ذلك خلف ظهرك ، وتبدأ حياة سامية ملكية » .

ألم تحصل على هذا الاختبار قط فى حياتك ؟ لقد حصلت أنا شخصياً عليه منذ عشرين سنة ، وأعتقد أن الكثيرين يمكن أن يرجعوا فى حياتهم إلى ساعة سرية جاءهم فيها ملاك الله ليعيدهم إلى الحياة السامية ويجعلهم مكرسين لله . لعل زوجتك إذ استبد بها المرض جداً وأوشكت على الموت جاءك الملاك ، ونذرت لله بأن تعيش حياة كاملة إذا نجت زوجتك من الموت . وأنت أيتها السيدة ، لعلك تذكرين ذلك الوقت عندما مرض ابنك البكر مرضاً خطيراً ، وقت أن جلست بجوار سريره ورفعت قلبك إلى الله قائلة « إن أنقذت ابنى أترك اهتمامى بالأمور العالمية ، وأهجر حياتى الوضيعة ، وأحيا حياة مسيحية حقيقية » . كانت هذه بمثابة مخاضة يبوق لك ، التى إذ تركتها اعتزمت أن تحيا حياة الشركة الكاملة مع الله .

لكن ماذا حدث فى اليوم التالى ؟

أخشى أن يكون الأمر مزعجاً جداً بحيث أخجل من التحدث عنه ، لأنه لا يمس يعقوب فقط بل يمسنا كلنا . لقد قابله عيسو ، وبدلاً من أن يعتمد يعقوب على الله قدم عذراً واهياً أعرج لكى يبرر به عدم استطاعته السير معه (تك ٣٣ : ١٣) . وحالما أدار عيسو كتفه التفت يعقوب المخادع إلى الجهة الأخرى ميمماً وجهه نحو وادى غنى وأرض مراعى حيث تجد خرافه ومواشيه حاجتها وحيث يستطيع هو وأبناؤه إقامة تجارة واسعة مع رجال شكيم .

يخبرنا الكتاب المقدس أنه نصب خيمته أمام شكيم ، والأسوأ من هذا أنه « ابتاع قطعة الحقل التى نصب فيها خيمته » (ص ٣٣ : ١٨ و ١٩) . ذاك الذى خرج من جنس مقغرب ، الذى كان يجب أن يتكل على الله ، ويدرك أن الله سوف يعطيه كل الأرض ، اشترى قطعة أرض أمام شكيم مباشرة ، التى هى من أشر المدن فى البلاد . من أجل الثروة طوّح بنفسه وزوجته وأولاده للاحتكاك بأهل تلك المدينة ، وسوف نعرف قريباً نتيجة ذلك .

تأثير راحيل

إننى أعتقد دواماً أن تأثير راحيل ظهر هنا . لست أريد أن أبرىء الرجال وأقول إنهم لا يبالون بالعالم ، لكننى واثق تماماً أن المرأة كثيراً ما دفعت زوجها لأعمال لا تستطيع هى القيام بها ، لأنها كثيراً ما تقول : « نريد أن نعطى أبناءنا فرصة » .

إننى أشعر دواماً بأن تأثير راحيل على نفس يعقوب فى ذلك المكان كان مؤذياً جداً . ولعلها قالت له : « ألا تظن يا زوجى العزيز أننا يجب أن نصقل أولادنا لكى يتمشوا مع العصر ؟ ألا تظن بأنه من الحكمة أن يحتكوا بشعب آخر ؟ » .

لا تظن بأننى أقسو على راحيل ، فإن سلوكها هو الذى يبرر عقيدتى هذه . فنحن نعلم بأنه عندما وصل لابان إلى يعقوب وقال إن واحداً سرق آلهة بيته كان يعقوب لا يعلم شيئاً عن هذا الأمر ، لكن الواقع كان أن راحيل سرقتها وأخفتها وسط أمتعتها . لا شك فى أن راحيل كانت تعرف الله ، ومع ذلك فقد احتفظت بتلك الآلهة الصغيرة التى عبدتها . ولا يمكننى إلا أن أشعر بأن تأثيرها على زوجها كان مسماً بتلك العبادة الوثنية التى كانت تمارسها .

أريد أن أوجه الحديث قليلاً للنساء . أريد أن أسأل عما إذا كان الله يرى بأنهن يستخدمن من أجل مجد الله ذاك التأثير الدينى الذى يجب أن يسود البيت ، ويصوغ الزوج والأولاد . وأود أن أطلب من الشابات بأن يكون تأثيرهن على الشبان للخير دواماً . إن كانت الشابات تعشن حياة فاضلة جميلة نبيلة ، وترفضن ما لا يرضى الله ، فإنهن يقيناً يكون تأثيرهن حسناً على من سيتزوجن بهم . رجائى أن يعشن لله فى كل طهارة وتقوى ، حياة مرصعة بجواهر السماء . إن كانت لأية سيدة أصنام الاهتمام بالعالميات ، فإننى باسم الله أدعوها بأن تحطمها . أيمكنك أن تسمحى للروايات الفاسدة أن تفسد قلبك وتتلف فضيلتك وطهارتك وعفتك التى هى تاج جمالك ؟ إننى باسم الله أطلب منك أن تحطمى أصنامك السرية مهما كانت ، وأن تفتحى قلبك ليسوع المسيح ، لكى لا يكون تأثيرك للشر بل للخير .

كان يجب أن تكون راحيل ليعقوب ملاكاً طاهراً . كان يجب أن تقول : « يا زوجى العزيز ، لا تذهب إلى هناك . أذكر أولادنا » .

لكنهما انجرفا معاً ، وعاشا بجوار تلك المدينة الشريرة نحو أربع أو خمس سنوات .

وما الذى حدث بعد ذلك ؟

يخبرنا الكتاب المقدس فى (تك ٣٤) أن دينة ، ابنة يعقوب الوحيدة ، خرجت لتنظر بنات الأرض . يا لها من فتاة مسكينة . لقد وُضعت فى طريق التجربة ، وبدأت ترقص كالفراشة وسط نور الشمعة . لعل الحياة فى البيت كانت مملة ، لعله كان نزاع بين إخوتها ، لعلها كانت لا تُعامل بالرقة والمحبة ممن كانوا يعيشون معها ، ولهذا اتخذت خطوة لم تستطع أن تتراجع عنها . لقد فقدت شرفها وكرامتها ، وجلبت الخزى والعار على بيت أبيها .

ومن ذا الذى كان مسئولاً عن كل هذا ؟ ألم يكن يعقوب هو الملوم لأنه وضع أولاده فى هذا الموقف ؟

إصغوا أيها الرجال الذين تجرون وراء المال . إن المؤمن إذ يبدأ السعى وراء المال يجد نفسه مدفوعاً بأن يقول : « إننى الآن أستطيع أن أعيش فى منزل أوسع ، أستطيع أن أنتقل إلى مجتمع أفضل » . وأنت إذ تتصرف هكذا فإنك كثيراً ما تضع أولادك

تحت ذلك التأثير الذى يكون لهم كما كانت شكيم ليعقوب . وما هى النتيجة ؟ يبدأ أولادك فى الحال بأن يكوِّنوا آراء عالمية ، فيذهبون إلى أماكن اللهو ودور التمثيل ، وبذلك تعرِّض أولادك وبناتك للاختلاط برفقاء يجرونهم إلى الهلاك . لست أقول إنك يجب أن تحرم أولادك من التعليم أو من أى شىء يجعل الحياة لهم مرحة سعيدة ، لكننى أقول بأنك عندما تؤسس لأسرتك بيتاً يتمشى مع ماليتك ، وعندما ترتب كل شىء من أجل تعليم أولادك ورفاهيتهم ، فإنك يجب أن تنظر إلى زيادة ثروتك كوزنة من الله . يجب أن تستخدم كل ما يزيد عن حاجتك وحاجة أولادك لخدمة الله ، معتبراً نفسك وكيل الله ، وأنك اؤتمنت على أمواله .

أمضى يعقوب على هذه الحال ست سنوات أو سبع سنوات ، انتهت أخيراً بكارثة أخلاقية ، اضطرته إلى مغادرة المكان . ليت لى الفصاحة الكافية للتحدث عن هذا الموقف بما يليق به . ليت لى القدرة على أن أصور لك المكان الذى يعيش فيه الآن . ليتنى أستطيع أن أقارن بين سلم بيت إيل الملائكى وبين شكيم .

إن استطعت أن أبين الفارق العظيم بينهما فسوف لا تحتاج إلى صوت الملاك ليناديك قائلاً « قم اصعد إلى بيت إيل »، لكنك تسرع بأقصى سرعتك وتعود إلى المرتفعات المجيدة التى فيها يلتقى الله بالنفس .

العودة إلى بيت إيل

عندما فرغ الله من الكلام مع يعقوب نرى يعقوب يلتفت لكل مَن كان معه فيقول : « إعزلوا الآلهة الغريبة التى بينكم ، وتطهروا وأبدلوا ثيابكم ، ولنقم ونصعد إلى بيت إيل » .

إننى أرجوك أن ترجع بذاكرتك إلى تلك الأيام التى كنت فيها قريباً من الله ، ألا تريد أن ترجع إلى بيت إيل حيث تصعد الملائكة وتنزل ؟

أذكر أننى مرة ذهبت إلى اجتماع لجيش الخلاص حيث أقاموا معرضاً للاصنام . كنت أتوقع أن أرى أصناماً من الهند وأفريقيا والبحار الجنوبية ، لكننى بدلاً من هذا رأيت ثمانية شبان فى الوقت المحدد تقدموا إلى مؤخرة المسرح ، كل منهم يحمل قطعة كبيرة من الورق المقوى . كانت إحداها مغطاة

بالسجاير والتبغ ، والثانية مغطاة بجواهر مزيفة وريش وأشرطة وغيرها . كانت هناك ثمان لوحات ، كل لوحة منها مغطاة بأشياء كانت أصناماً للبعض .

كان هنالك شخص جالس خلفى ، فأشار قائلاً : « هذه سيجارتى » .

وقالت سيدة : « هذه أدوات زينتى » .

هؤلاء البسطاء أحسوا بأن هذه كانت أصناماً لهم فكفوا عنها .

لو قلت الآن إن التبغ أو الجواهر هى صنمكم لربما يقول الكثيرون منكم ممن لم يُجرّبوا بهذه النواحى « هذا لا يعنينى ، فإننى ليس لى صنم » ، الأمر الذى قد لا يكون صحيحاً . إن صنم الكثيرين من الرجال هو المال ، وصنم الكثيرات من النساء هو الجمال ، أو براعتهن فى الموسيقى ، أو ربما بيوتهن الجميلة . كل واحد مجرب بأن يكون له صنمه . والصنم هو ما تعتمد عليه أكثر من الله الذى لا تراه . إن كان هنالك فى حياتك شىء من هذا القبيل فإننى أتوسل إليك بأن تنبذه .

ولعل مَنْ يسأل قائلاً : « وكيف السبيل إلى نبـذه ؟ » هنالك طريقة واحدة : وهى أن تعتبر هذه الأشياء كأن الله قد أعارها لك لكى تستخدمها فى خدمته .

ثم أيضاً أيها الأحباء « تطهروا » . كونوا طاهرى القلب، طاهرى النظرات ، طاهرين فى كل كلمة تقولونها ، طاهرين فى كل عمـل تؤدونه ، طاهرين فى كل الجسم . لا تنطقوا بأية كلمة أو عبارة تحمل معنيين . لا تسمحوا بأية فكرة ليست كما يجب أن تكون . لا تنظروا إلى تلك الصور غير الطاهرة . لا تقرأوا تلك الكتب غير الطاهرة .

« أبدلوا ثيابكم » . إن كنتم ترتدون ثياباً دنسة فإننى أقول لكم اخلعوا الإنسان العتيق والبسوا الرب يسوع المسيح ، وليقل كل منكم : « سأعيش من الآن كما يعيش يسوع المسيح لو كان فى موقفى » .

لقد فعل يعقوب هكذا وعاد إلى بيت إيل فتم أمر عجيب ، إذ قال له الله « لا يُدعى اسمك فيما بعد يعقوب بل إسرائيل » . ثم أضاف إلى ذلك هذا القول « أنا الله القدير » . كأنه قد قال

له : « يا يعقوب ، لقد طلبت شكيم لأنك ظننت أنك بذلك تحسن مركزك . والآن أنت وحيد ولا تعلم ماذا سيحدث بعد ذلك ، إننى سأكون معك . أنا الله القدير . سأوفى كل احتياجاتك . سأكون ضامناً لك . اعتمد علىّ فلا أتركك » .

والآن تطلع إلى الرب يسوع . إفتح له قلبك . سلم له ذاتك بكليتك . لا تخبىء عنه شيئاً . وعندئذ يعطيك اسماً جـديداً ويكون لك إلهاً قديراً ويجعلك مثمراً ويكثرك . فليتك تحيا معه فى شركة مباركة إلى أن يجمع آلائه .

الفصل الثانى

« إبتدأ نشيد الرب »

(٢ أى ٢٩ : ٢٧)

إن الفرح المتزايد هو أهم مميز فى ديانتنا المباركة ، « فرح لا ينطق به ومجيد » (١) . هذا أمر طبيعى للديانة الحقة . وأنت لا تستطيع أن تخلق الفرح ، لكن إن كانت حياتك خالية من الفرح فلابد أن يكون الباعث على ذلك خطية معينة . إذاً فابحث عن سبب عدم وجود الفرح فى حياتك . لقد قال ربنا : « كلمتكم بهذا لكى يثبت فرحى فيكم ويكمل فرحكم » (يو ١٥ : ١١) ، فإن لم يكن فرحك كاملاً فإنك لم تدخل إلى قلب عظة المسيح عن الكرمة والأغصان .

قال بولس الرسول « وأما ثمر الروح فهو فرح » (غل ٥ : ٢٢) . الثمر أمر طبيعى ، ولا يبذل الغصن أى مجهود لكى يظهر الثمر ، ولذلك فإن البستانى يجب أن يشذب الأغصان لكى يحد من الأثمار الزائدة عن اللازم .

(١) « مملوء مجداً » حسب الترجمة الإنجليزية (١ بط ١ : ٨) .

وكما أن الغصن مثمر ما دام اتصاله كاملاً بالشجرة ، هكذا إن كان اتصالك كاملاً بالرب فإن الفرح يكون أمراً طبيعياً كما أن التغريد أمر طبيعى للعصفور .

هل تديُّنك مقترن بالكآبة والغم ؟ ألا يوجد فيه شىء من المرح والسرور ؟ هل الأولاد يتجنبوك ؟ هل عندما تدخل لدى أى مجتمع يمتنع الفرح والسرور ؟ أم أنت مصدر فرح كامل لأية جماعة ؟ إن لم تكن مصدراً للفرح فهناك عيب فى حياتك الداخلية يخنق مصدر الفرح .

منذ بضع سنوات زار أحد أصدقائى بعض الحفائر فى روما ، حيث كانت أكداس القاذورات تزال . وفجأة تدفقت المياه من نبع كان مكبوتاً منذ بضعة أجيال . هذا النبع الصغير المسكين كان مختفياً بسبب الأكداس التى تراكمت عليه سنوات طويلة .

هكذا أيضاً إن كنت مسيحياً هزيلاً فإنه يوجد ينبوع فرح فى نفسك لكنه قد اختنق ، ومهمتى الأولى الآن هى أن أضع يدى على ما هو خاطىء . ولكى تساعدنى على أن أمسك بضميرك

اقرأ ما ورد فى (٢ أى ٢٩ : ٢٧) حيث نجد هذه الكلمات « وعند ابتداء المحرقة ابتدأ نشيد الرب » .

إن كلمة « ابتدأ » تشير إلى أنه كان قد بطل . إذا تأملت فى الأصحاح السابق تجد أن نشيد الرب لم يُسمع قط من أفواه اللاويين مدة ست عشرة سنة ، ولم يُسمع صداه فى دور الهيكل قط . تلك الدور التى قصد بها داود أن ترن فيها أصوات تسبيح الله وعبادته كانت فى سكون تام . ولعلها فى حالتها هذه تشبه قلبك ، لأن قلبك قصد الله أن ترن فيه أصوات الترنيم والفرح ، وإن كانت هذه الأصوات قد صمتت فربما يكون ذلك راجعاً لنفس السبب .

سبب الصمت

ماذا حدث أثناء الست عشرة سنة المذكورة ؟

اقرأ ما ورد فى (٢ أى ٢٨ : ٢٤ و ٢٥) « وجمع آحاز آنية بيت الله وقطع آنية بيت الله وأغلق أبواب بيت الرب وعمل لنفسه مذابح فى كل زاوية فى أورشليم وفى كل مدينة فمدينة من يهوذا عمل مرتفعات للايقاد لآلهة أخرى وأسخط الرب إله آبائه » .

قد تضجر الملك آحاز من عبادة الله ، ومن أجل هذا أطفأ الأنوار ، وأغلق الأبواب ، وأخذ المفاتيح ، وطرد اللاويين ، وأصبحت دور الهيكل مهجورة تعشش فيها عصافير الجو . لم يدخل المقادس لا آحاز ولا الكهنة ، ولا اللاويون .

بعد ذلك حدث التغيير . لقد بدأت المحرقة تُقدم بعد أن كانت قد امتنعت مدة ست عشرة سنة ، وابتدأ نشيد الرب يُسمع مرة أخرى . لقد صار حزقيا ملكاً « وفى السنة الأولى من ملكه فى الشهر الأول فتح أبواب بيت الرب ورممها . وأدخل الكهنة واللاويين وجمعهم إلى الساحة الشرقية . وقال لهم اسمعوا أيها اللاويون ، تقدسوا الآن وقدسوا بيت الرب إله آبائكم وأخرجوا النجاسة من القدس » (ع ٣ - ٥) .

« أخرجوا النجاسة » . هذا أول ما يجب عمله . وهذا ما نادى به بولس الرسول « لنطهر ذواتنا من كل دنس الجسد والروح » (٢ كو ٧ : ١) . إننى لا زلت محتاجاً لإدراك الفرق بين دنس الجسد ودنس الروح . لابد أن يكون هناك دنس فى أعماق أرواحنا .

إجتمع الكهنة واللاويون تلبية لدعوة حزقيا ، « ودخل الكهنة إلى داخل بيت الرب ليطهروه وأخرجوا كل النجاسة التى وجدوها » (ع ١٦) .

ثم ماذا ؟ إنهم ذبحوا ذبيحة خطية ، وهكذا رُفعت الخطية (ع ٢٤) .

كنائسنا

فلنطبق هذه الحقائق أولاً على كنائسنا .

أنتم تتوقون إلى نهضة فى حياتنا الروحية لكى تمتلىء قلوبكم وبيوتكم من التسبيح لله . إننى أدعو الخدام والقادة فى كنائسنا ليدخلوا إلى الدور الداخلية لكى يطهروها تطهيراً كاملاً من النجاسات التى تكدست هناك . لم يأت بها أحد إلى الهيكل ، لكنها تراكمت هناك . لقد تراكم تراب العالم ونجاساته فى نفوسنا ، ويجب أن نزيلها كلنا معاً .

منذ بضع سنوات قابلت خادماً متقدماً فى الأيام فتحدث إلىّ بالرواية التالية . فقال :

« بعد تخرجى من كلية اللاهوت أرسلت للخدمة فى قرية

نائية ، وكانت الخدمة هزيلة جداً مدة بضع سنوات ، فجمعت بعض الأتقياء لكى نصلى مساء يوم الجمعة من كل أسبوع طالبين نهضة للكنيسة . ظللنا على هذا الحال خمسة عشر شهراً ، لكن السماء كانت نحاساً فوقنا ، وعند حلول الخريف كرست يوماً للصلاة المتحدة ، ففرح قلبى إذ رأيت الفلاحين يتقاطرون مع عائلاتهم حتى امتلأت المدرسة التى كانت خلف الكنيسة ، عندئذ قلت لجماعة المصلين إننا قد اجتمعنا لنصلى طالبين نهضة للكنيسة . وبعد افتتاح الاجتماع بالترانيم والصلاة تركت الفرصة لمن يريد الصلاة ، ولكن لشدة دهشتى ساد صمت الموت على الحاضرين .

وأخيراً قام رجل متقدم فى السن ، ومتقدم فى خدمة الكنيسة ، قام من مقعده فى مقدمة الصفوف وقال : « راعينا العزيز ، لست أظن أنه سوف تحدث نهضة فى الكنيسة طالما كنت أنا والأخ يوحنا متخاصمين » . وللحال ترك مقعده ، وسار فى وسط الكنيسة إلى أن وجد الأخ يوحنا ، ثم قال له : « أيها الأخ يوحنا ، إننا متخاصمان منذ خمس سنوات . فلندفن الماضى ، وهاك يدى » .

وعاد الرجل المتقدم فى السن إلى مقعده وجلس ، عندئذ تنهد الحاضرون ، ثم صار صمت مرة أخرى .

وللحال قام آخر ، من المتقدمين فى الكنيسة ، وقال :

« راعينا العزيز ، لست أظن أنه سوف تحدث نهضة هنا طالما كنت أنا أقول كلاماً جميلاً فى وجهك ، وكلاماً غير جميل من وراء ظهرك . أرجوك أن تسامحنى » .

وعندئذ تصافحنا . وساد الصمت الجماعة ثانية .

ثم أخبرنى الخادم أنه بعد ذلك شهد أغرب منظر فى حياته. لقد تقاطر الرجال والنساء إلى مبنى المدرسة مدة عشر دقائق حتى اكتظت بالحاضرين وبدأ الرب يعمل .

لقد سمع عمال مصنع مجاور ما كان يحدث فى مبنى المدرسة . وفى ساعة الغداء تحولوا إلى المدرسة بدلاً من الذهاب إلى بيوتهم . فوعظهم الخادم بكلمات بسيطة ، وبعد خمس دقائق أعلن أربعة من أشر الخطاة فى تلك الجماعة توبتهم وطلبوا رحمة الله . لقد حدثت نهضة فى الكنيسة اكتسحت كل المنطقة وظلت ثلاث سنوات » .

ذكرت مرة هذه الرواية فى بلدة ما فى إنكلترا ، وبعد بضعة أسابيع كررتها إذ كنت أتحدث مع بعض الخدام فى لندن ، فقام أحد الخدام وقال إنه بعد أن ذكرتها فى تلك البلدة قابله شخص كان مديناً له بخمسة وعشرين دولاراً أثناء الخروج من الكنيسة وأمسك بيده وقال : « إصفح عن تأخيرى فى سداد ذلك الدين ، وسوف أوفيك المبلغ غداً » .

ينبغى أن نعود إلى المبادىء الأولية . إن مقدار سلامنا مع الله يتوقف على مقدار سلامنا مع إخوتنا وأخواتنا المحيطين بنا . فلنفحص أنفسنا ، لا بمقياس ما نكون عليه فى الكنيسة يوم الأحد بل بمقياس معاملتنا لمن لا نحبهم . هذا هو المقياس الحقيقى.

هل هناك شعور بالغيرة والحسد بين الخدام ؟ هل هنالك تبرم أو غيظ فى نفس أى خادم بسبب نجاح غيره ؟

وأنتم أيها المؤمنون ، هل أنتم مستعدون لتنسوا الأحقاد الماضية ؟ هل أنتم مستعدون للكف عن التصرفات التى ترتكبونها فى أعمالكم ومتاجركم ، والتى تعرفون أنها لا تتفق تماماً مع وصايا المسيح ؟

إن كان الأمر كذلك ، فليتصافح كل واحد مع أخيه إن كان متخاصماً معه . أكتب ذلك الخطاب الذى يجب أن تكتبه، سدد الدين الذى عليك ، ابتعد عن ذلك المصدر الذى يهيج غضبك . لتنسكب محبة الله فى نفسك ، وبعد ذلك يأتى الفرح .

قلوب الأفراد

لنأت الآن إلى قلبك . هل هنالك خطية سرية تعشش فيه ؟ لقد بدأ الفرح فى حياتى فى ليلة خالدة عندما جثوت أمام المسيح وسطع نور الروح القدس على ناحية دنسة كانت فى قلبى . كانت قد تراكمت هناك وأنا لم أكن أعرفها . لقد قضيت بعض الوقت وأنا أعيش فى قلق شديد ، وذات يوم جاء شاب ووعظ فى كنيستى أحسست أنه يمتلك سراً لا أمتلكه أنا . فى الساعة السابعة من صباح اليوم التالى ذهبت إلى البيت الذى كان يقيم فيه ، ودخلت إلى غرفته وقلت :

« ألتمس المعذرة إن كنت قد جئت إليك الآن . وحقيقة الأمر أننى لا أحس بالسعـــادة مطلقاً . إننى خادم لله ، والناس ينتظرون منى الكثير ، لكن قلبى ممتلىء شراً . ولا أجد السبيل

إلى علاجه . هل يمكنك أن تدلنى على السر الذى تحتفظ به ؟ » .

ومن الشموع المحترقة أدركت أنه استيقظ فى وقت مبكر جداً . وبعد ذلك قال لى إنه استيقظ الساعة الرابعة صباحاً . فسألته عما كان يفعله . وأجابنى أن الرب قال : « إن كنتم تحبوننى فاحفظوا وصاياى » .

وبعد برهة قال : « إننى كنت أراجع وصاياه لكى أرى إن كنت قد حفظتها » . قلت له :

ـ إننى أريد أن أعرف السر الذى تحتفظ به .

ـ ليس لدىّ شىء تعجز أنت عن الحصول عليه .

ـ إننى مؤمن ، لكن كيف أحصل على السلام الكامل ؟

ـ هل سلمت نفسك للمسيح تسليماً كلياً !

ـ نعم سلمت نفسى له بكيفية عامة .

ـ إن كنت لم تسلم نفسك تسليماً كلياً ، فاذهب ، واختل به ، وتمم هذا .

فى تلك الليلة جثوت بجانب سريرى ، وكان باب الغرفة مغلقاً ، واعتزمت أن لا أنام قبل تسليم كل شىء ليسوع . وبدا

لى كأن يسوع بجوارى ، وكأننى أخذت من جيبى مجموعة من المفاتيح التى أحملهـا عادة عندما أكون فى البيت ، أخذت من تلك المجموعة مفتاحاً واحداً صغيراً احتفظت به ، ثم سلمت ليسوع الباقى ، وقلت له :

ـ هاك مفاتيح حياتى

فنظر إلىّ بحزن وقال :

ـ هل هذه هى كل المفاتيح ؟

ـ هذه هى كلها عدا مفتاح واحد صغير لخزانة صغيرة . إنه صغير جداً بحيث لا يُعتدّ به .

فأجاب . يا بنىّ إن كنت لا تثق بى فى كل شىء فإنك لا تثق بى فى أى شىء .

فهمس الشيطان فى أذنى قائلاً : لا يمكنك تسليم هذا الشىء. وعلاوة على هذا أنك إن أطعت المسيح فأنت لا تعلم ماذا يطلب منك بعد ذلك . لا تسلم هذا الشىء له .

بعد ذلك فكرت فى ابنتى الوحيدة التى كانت وقتئـذ متمردة بعض الشىء . وقلت : لو أنها جاءتنى وقالت : يا أبى إننى

أسلمك حياتى بجملتها فاختر لى ما تشاء . وأدركت بأننى لا يمكن أن أستدعى أمها وأقول لهـا : هذه هى فرصتنا ، فماذا يمكن أن أفعله لكى نجعل حياتها بائسة تعسة . بل بالحرى إننى أقول لها : يا زوجتى هذه فرصتنا . دعينا ننتزع منها كل ما يضرها ونجعل حياتها سعيدة .

عنـــذئذ أشرقت فى نفسى هذه الفكرة ، إن كنا نعطف على أولادنا بهذه الصورة فلاشك أن المسيح لا يمكن أن يقسو علينا . وأخيراً قلت : ربى إننى لا يمكننى أن أسلم ذلك المفتاح ، لكننى أريدك أن تأتى وتأخذه ، وفى الحال تم ما توقعته . تصورت أننى أبسط يدى ، فأتى المسيح وفتح أصابعى وأخذ منى المفتاح . ثم ذهب إلى تلك الخزانة وفتحها ، ووجد بها شيئاً قذراً جداً ، وقال : « هذا يجب أن يخرج ، يجب أن لا تسلك هذا الطريق أبداً » .

وفى اللحظة التى أخذ فيها منى هذا الشىء أخذ من نفسى الرغبة نحوه ، وبدأت أبغضه . ثم سلمت نفسى له تسليماً كلياً ، وقلت : « من هذه الليلة اريد أن تعمل بحياتى كما تشاء » .

وفى صباح اليوم التالى استيقظت متوقعاً أن أرى شعوراً بالتهليل والترنيم ، لكننى وجدت نفسى فى هدوء وسلام كما أنا الآن . وجدت فقط فى نفسى إحساساً مبهجاً بأننى قد أصبحت ملكاً ليسوع المسيح ، وفى ذلك اليوم قلت لنفسى مائة مرة :

« إننى ملك ليسوع المسيح ، إننى ملك له بكليتى » .

أيها الأخ العزيز ، هل فى نفسك خزانة سرية خبأت فيها أشياء تلاشى عفونتها فرحك ؟ واجه حالتك على حقيقتها . كثيراً ما تقمثل بأولئك الذين يخشون لئلا تكون رئتهم سقيمة ، ويخافون أن يفحصها الطبيب لئلا يكتشف حالتها الحقيقية . إننا لا نستطيع أن نتقدم إلى الأمام إلا إذا كنا طاهرين . هل أنت متأكد من أنه لا يوجد فى قلبك شىء لا تريد أن يعالجه المسيح ؟ قبل أن تنتفع ببركة الله يجب أن تدعه يفحص نفسك ، ويكشف النجاسة التى دخلت منذ سنوات مضت ، وخنقت حياتك الروحية منذ ذلك الوقت .

إبتدأ النشيد

والآن لاحظ ما حدث بعد ذلك . لقد أعد حزقيا المذبح .

على الجانب الواحد كان الكهنة بمحرقتهم الكاملة التى كانت تشير إلى ذبيحة المسيح الكاملة بموته ، وإلى تكريس المؤمنين للمسيح بحياتهم ، وفى الجانب الآخر كان اللاويون المغنون فى ثياب بيضاء ، ولاويون آخرون « بصنوج ورباب وعيدان » . وبعد أن أعطيت إشارة وضعت المحرقة على المذبح . ولست أدرى إن كان الله قد أرسل ناراً من السماء ، أو أنه كانت هنالك نار محتفظ بها على المذبح كل تلك السنوات الماضية ، لكن على أى حال فإنه إذ بدأت النار تظهر ارتفعت أصوات الترنيم الحلوة ، وسمعت مرة أخرى أصوات الآلات الموسيقية الشجية .

لا بد أن تكون السماء نفسها قد وقفت صامتة لكى تصغى . ولا بد أن يكون الملائكة قد تفاطروا ليسمعوا الموسيقى فى ذلك المكان المعهود بعد صمت دام ست عشرة سنة .

منذ بضع شهور دخلت بيت شخص أعزب ، والعزاب عادة قليلو الكلام ، تعلو الكآبة وجوههم ، وينطوون على أنفسهم ، أما ذلك الأعزب فكان يعيش فى بيت جميل ، وكان من أسعد من رأيت . وبعد انتهاء العشاء قلت :

ـ إنك تبدو سعيداً جداً .

ـ نعم . وسأقص عليك قصتى . منذ بضع سنوات كنت أربح أموالاً طائلة ، وقد اخترت حياة الانفراد هذه لكى أخلو من هموم الزوجة والأولاد . لكننى لم أكن سعيداً بالرغم من كل ما يمكنه العالم أن يقدم لى .

بعد ذلك مات أخى ، وكان دائماً فقيراً ، وقد ترك أولاداً كثيرين . اجتهدت أن أدبر لهم حاجياتهم ، لكننى أخيراً اضطررت بأن آتى بهم كلهم إلى هذا المنزل . وظننت أن سلام حياتى قد انتزع .

فى الأسبوع الأول كنت أتضايق جداً إذ أرى الأولاد يركضون فى كل أرجاء البيت ، لكنهم بعد ذلك تعلقوا بى ، وأنا بدأت أن أحبهم ، فأرسلتهم إلى المدرسة ، وكنت لهم أباً وأماً . وقد تزوج منهم اثنان ، ولست أظن أنه يوجد على ظهر الكرة الأرضية من هو أسعد منى .

عندما بدأت المحرقة بدأ النشيد . إن الحياة المركزة فى ذاتها حياة تعسة . عندما بدأ ذلك الرجل أن يضحى بنفسه أتت السعادة إلى حياته .

إن كانت الحياة من أجل الآخرين تصبح حياة سعيدة ، إن كان جميلاً أن تعيش الزوجة لزوجها المشلول ، وإن كانت تشعر بالفرح إذ ترى نفسها أنها بكليتها له ، فكم يكون فرحك عندما تكون بكليتك ليسوع ؟ من أجل هذا « أطلب إليكم برأفة الله أن تقدموا أجسادكم ذبيحة حية » . لا ذبيحة ميتة بل « ذبيحة حية مقدسة مرضية عند الله ... وتغيروا عن شكلكم بتجديد أذهانكم لتختبروا ما هى إرادة الله الصالحة المرضية الكاملة » (رو ١٢ : ١ و٢) .

كم مرة قاومت إرادة الله ؟ لقد ظننتها قاسية ، لا ترحم ، مرعبة . لكن عندما يسلم المرء نفسه لها فإنه يجدها صالحة مرضية كاملة . عندئذ تجد أن ما تبغضه أصبح موضوع فرحك . وإذ تتطلع إلى وجه المسيح وتقول « ربونى ، يا معلم » فإن فرح القيامة يملأ نفسك .

ليت الله يساعدك لكى تنتزع من قلبك كل نجاسة ، وتسلم نفسك له . وسواء رنمت بصوت مسموع أم لا فإن نشيد الرب يبدأ فى نفسك .

الفصل الثالث

« قدس للرب »

(خر ٢٨ : ٣٦)

القداسة تعنى ثلاث نواحى :

(١) الاعتزال عن الخطية وعن الاستخدام المشاع ، كعزلة يوم الأحد عن باقى أيام الأسبوع ، وانفراد جبل واحد وسط جبال العالم ، وانفراد الصبى صموئيل وسط أولاد وبنات جيله .

(٢) الفرز لخدمة الله . إن ما يعزل ويُفرز عن الخطية يُحفظ لخدمة الله المقدسة ، وما يؤخذ من الاستخدم المشاع يُحفظ كلية لله . وكما أنك لا تسمح باستخدام الكأس فى العشاء الربانى لاستعمالها على مائدتك فى بيتك ، هكذا يجب أن يُحفظ كل ما هو مقدس لاستخدامه فى الأغراض المقدسة .

(٣) وكما أن القداسة تعنى الاعتزال والفرز هكذا تعنى أيضاً التمثل بالله ، لأن ما يُحفظ لخدمة الله يأخذ قليلاً من طبيعة الله . فكما أن الصينية الفضية التى تُستخدم على المائدة الربانية تعكس

نور وجه المسيح الذى تحمله ، هكذا ما يستخدمه الله يميل إلى أن يتمثل بالله . فلا تنس أبداً أن القداسة لا تعنى أمراً نحصل عليه بل تعنى موقفنا من نحو الله . هى فتح القلب لنور طبيعة الله ، الذى إذا ما دخل ملأ روح الرجل أو المرأة .

عصابة جبين رئيس الكهنة

فى (خر ٢٨ : ٣٦) ترى رئيس الكهنة قائماً أمامك مرتدياً ثيابه البيضاء الكاملة ، وعلى جبينه « صفيحة من ذهب نقى » ، وعلى هذه الصفيحة نُقشت هذه العبارة « قدس للرب » حتى إذا ما ذهب هنا أو هنالك حمل هذه العبارة على جبهته .

هب أننى تحولت عنه والتفت إليك قائلاً : إننى أريدك من هذه الليلة إلى أن تلتقى بالمسيح فى المجد ، أن تحمل على جبهتك هذه العصابة وقد نُقشت عليها هذه العبارة المقدسة ، فهل تتراجع إلى الوراء قائلاً : كلا ، فإننى لن أكون مرائياً . صحيح أننى أتكل على المسيح ، وأرغب فى أن أتشبه به ، لكننى لا أجرؤ على أن أتطاول وألبس هذه العصابة المقدسة ، وأنتحل لنفسى هذه العبارة المقدسة . إننى لست قدساً للرب ؟

إذن يا صديقى فإنك تتنازل بنفسك عن امتياز العهد الجديد الذى قال عنه زكريا إنه فى هذا العصر يعطى الروح القدس للرجال والنساء الذين يؤمنون بالمسيح ، فتنقش هـذه العبارة « قدس للرب » على رؤوسهم ، و على الآنية العادية التى فى بيوتهم ، فتصير آنية مقدسة كآنية بيت الرب : « فى ذلك اليوم يكون على أجراس الخيل قدس للرب . والقدور فى بيت الرب تكون كالمنافح أمام المذبح » (زك ١٤ : ٢٠) .

إن كل ما أريد أن أقوله يمكن أن يلخص فى ثلاث كلمات وهى :

أولاً ـ إلغاء

أظن أن زكريا قصد أن يبين بأنه فى عصر الروح القدس ، الذى نعيش فيه نحن الآن ، سيكون فيه إلغاء الخط الفاصل بين ما هو عالمى وما هو مقدس . فالكثيرون يرسمون خطاً فاصلاً بينهما ، قائلين : « العمل هو العمل ، والديانة هى الديانة . يوجد مكان لكل شىء ، وكل شىء له مكانه » . إنهم يعيشون فى بيتين . ربما يكتبون على بيوتهم هذه العبارة « قدس للرب » ، لكنهم يقضون

معظم وقتهم خارج بيوتهم ويرفضون أن يكتبوا تلك العبارة على أماكن مسراتهم وأماكن عملهم . البعض يرتدون ثياب القدين يوم الأحد ويخلعونها باقى الأيام ، وعندما يلبسونها فإنهم يلبسونها بصعوبة . يا لهذه العادة السيئة جداً التى تعوّدها المؤمنون إذ يرسمون ذلك الخط الفاصل وبذلك يعرجون بين الفرقتين .

مثل هؤلاء لا يمكن أن يستقيم معهم الحال لثلاثة أسباب :

(١) ليست المسيحية عقيدة ، ولا مجموعة قوانين ، ولا مجموعة طقوس ، بل حياة .

هى حياة يبدأها الروح القدس ، حياة حقيقية ، بداية حياة المسيح مُتغرس فى أرواحنا ، وتنمو إلى أن تصل إلى شبه المسيح ، وأنت لا تستطيع أن تجرد هذه الحياة من الكيان العادى . إن حياة الزهرة يجب دائماً أن تعبّر عن نفسها برائحتها ولونها ، وحياة العصفور يجب دائماً أن تعبر عن نفسها بتغريده وبنائه عشه وعنايته بصغاره ، والفنان ينظر إلى الأشياء نظرة فنية . وهكذا إذا كان المرء يتمتع حقاً بحياة الله فى نفسه فإن هذه الحياة يجب أن تظهر فى كل كلمة يتفوّه بها ، فى كل نظرة ، فى كل حركة ، لست

أقول إنه يتكلم عن الله دواماً ، لكن الحياة الإلهية تعبر عن نفسها فى كل حركات حياته وبسمات وجهه .

(٢) ثم يجب أن نذكر بأن المسيحية هى الاعتراف بمُلك المسيح . أى أن المسيحية الحقة تعترف بأن النفس بكليتها مِلك ليسوع المسيح .

لن أنسى مطلقاً ذلك المنظر عندما رأيت عبداً لأول مرة . كان ذلك فى أحد شوارع مراكش . أشار رفيقى إلى سيدة كانت تتقدم نحونا ، وكانت تتحلى بحلى ذهبية كثيرة . قال رفيقى : هذه أَمة .

لأول مرة رأيت بعينى شخصاً ليس ملكاً لنفسه لكنه بكليته ملك لشخص آخر . كانت هذه المرأة بكليتها مِلكا لسيدها ، بكل ما تملك وبكل قواها وبكل مواهبها . فرفعت قلبى إلى السماء وقلت : أشكرك يا رب لأنه إن كان يوجد هناك عبيد فإننى لست عبداً .

أيها الحبيب ، ألم تتطلع قط إلى وجه يسوع قائلاً : يا سيدى يسوع المسيح ، الذى أنا له ، والذى أعبده وأخدمه ، كل مالى ،

وكل ما يمكن أن أحصل عليه ـ هذه كلها ملك لسيدى . إن كان الأمر كذلك فإنك لا يمكن أن تقدم إليه جزءاً من حياتك وتحتفظ بالباقى . إن كل حياتك يجب أن تكون تحت تصرف السيد الحبيب والملك العزيز .

(٣) والمسيحية هى شهادة للعالم والاعتراف بسيادة الرب .

إن كان العالم لا يراكم عائشين بمقتضى المبادىء المسيحية فى مجال أعمالكم ، وفى مسراتكم ، وفى كل نواحى حياتكم اليومية ، فأنتم لا تشهدون للعالم . لهذا فإننى من أجل العالم أحتج على هذه التفرقة بين ما هو مقدس وما هو عالمى . إنى أطالب بأننا حيثما وُجدنا ، فى أىّ زمان وفى أى مكان ، يجب أن نحمل فوق جباهنا ، وفوق أجسادنا ، وفوق كل مسراتنا وأعمالنا العالمية ، فوق كل الأجراس التى ترنّ فى حياتنا ، هذه العبارة « مقدس ليسوع » ، أى مفرز لسيدنا وربنا المبارك .

ثانياً ـ إحتواء

إن كان هذا ينطبق عليك فأريدك أن تتخذ خطوة أخرى ، وهى خطوة جوهرية جداً ، تعبر عنها الكلمة « إحتواء » .

كان اليهودى قديماً يحرّم عليه استخدام الخيل . والحصان ليس أكثر ايذاءً من البغل ، كما أن الله خلقه حيواناً نافعاً جداً. لكن لأنه يقترن دائماً بالكبرياء والخيلاء والحروب فقد حرمه الله على اليهود . لكن بعد انقضاء عدة أجيال نسمع الرب يطلب من الشعب أن ينقش على أجراس الخيل هذه العبارة «قدس للرب».

قال لى مرة أحد الشبان بأنه منذ كرس حياته لله كفّ عن الألعاب الرياضية وعن اللعب بالكنجة . إن كنت تكف عن هذه الألعاب لأنها تقترن بالمعاشرات الردية فكف عنها ، ليست لأنها شريرة فى حد ذاتها ، بل بسبب المعاشرات الردية . أما إن استطعت أن تستمر فيها وترفع مستوى رفقائك ، إن كنت تستطيع أن تجعلهم ينتفعون من عشرتك ، فتجعلهم لا يحلفون ، ولا ينطقون بكلمات بذيئة ، ولا يتصرفون تصرفات معيبة ، ألست ترى أنه من الأولى جداً الاختلاط بهم ، فتصلحهم كالملح، وتنير حياتهم ، وترفع مستواهم الروحى ؟

قد تظن الشابة التى تريد تكريس حياتها لله أنها ينبغى أن تكف عن العزف على البيانو ، لكن هب أنها تستطيع أن

تستخدمه لكى تحفظ أخاها فى البيت فى الليل بدلاً من الخروج من البيت ليندمج مع عشراء السوء ، أليس من الأفضل أن تعزف على البيانو عن أن تمتنع عنه كلية ؟

إحتفظ بالخيل إن استطعت ، لكن انقش عليها هذه العبارة « قدس للرب » .

لكن لعل أحداً يقول : ألا تظن أنك تنادى بمبدأ سىء ؟ ألا تظن بأنه قد يقوم مَنْ يعتمد على مبدئك ويقول إنه سوف يذهب إلى صالات الرقص أو الملاهى ويرفع مستوى أقرانه بحيث يربحهم للمسيح ؟

وللرد على هذا السؤال أرجوكم الرجوع إلى هاتين الآيتين لإرشادكم :« كل الأشياء تحل لى لكنى ليس كل الأشياء توافق. كل الأشياء تحل لى لكن لا يتسلط علىّ شىء » (١ كو ٦ : ١٢)، ثم :« كل الأشياء تحل لى لكن ليس كل الأشياء توافق . كل الأشياء تحل لى لكن ليس كل الأشياء تبنى . لا يطلب أحد ما هو لنفسه بل كل واحد ما هو للآخر (١) » (١ كو ١٠ : ٢٣) .

(١) « لخير الآخرين » حسب الترجمة الإنكليزية

المبدأ الأول هو هذا : ينبغى أن لا يتسلط علىَّ أى شىء . ألا ينطبق هذا على سيجارتك ؟ ألا يوجد بيننا الآن مَنْ تسلطت عليه عادة التدخين ؟ إنهم لا يستطيعون الكف عنها إن أرادوا لأنهم قد أصبحوا مستعبدين لها . وإن كنت لا تستطيع الكف عنها أو عن أمثالها ألست تحت سلطانها ؟

والمبدأ الثانى صادق أيضاً : ينبغى أن لا أفعل أمراً يضر غيرى . ألا ينطبق هذا أيها الشبان على إعثاركم للشابات ؟ أبذل كل جهدك أيها الشاب على أن تعين الشابة على حياة الفضيلة لا على أن تكون عثرة لها .

وفيما يختص بدور التمثيل . ألا ينطبق هذا الكلام عليها أيضاً ؟ إنك لا يمكن أن تذهب إليها دون أن تشجع الآخرين على ارتيادها . حتى إن كنا أنت وأنا قادرين على الذهاب إليها دون أن يمسنا أى أذى ، فإننا نشجع على الذهاب إليها مَنْ ليست لهم نفس القوة التى لنا . ثم يجب أيضاً أن نفكر فى الممثلين والممثلات. لست أريد أن ألقى التهم جزافاً ، لكن ما أسمعه يجعلنى متأكداً من خطر دور التمثيل للمحترفين .

قد تسأل : وماذا نقول عن الرقص ؟

لست أظن أنك تستطيع أن تكتب هذه العبارة « قدس للرب » على صالات الرقص . لو أن الفتيات عرفن فقط الأفكار التى تملأ قلوب الشبان عندما يرقصون فلست أعتقد أن الفتاة الطاهرة ترتضى بأن ترتمى فى حضن الشاب . لكن لأنهن لا يعرفن ، ولأنه لم توضع أمامهن مثل عليا ، لذلك يندفعن إلى المراقص . أما إن كنت ابنة لله بالحق ، وقد كتبت عليك هذه العبارة «قدس للرب» ، فإنك سوف تحرصين جداً على أن تلبسى الملابس اللائقة ، وتحرصين جداً على جسدك . وعلى أى حال ينبغى أولاً أن تسألى الروح القدس كيف تتصرفين بهيكله .

ثالثاً ـ رفع المستوى

واسمحوا لى الآن بأن أختم حديثى فى هذا الفصل بكلمة عن رفع المستوى . ليس المطلوب خفض المستوى بل رفعه . ليس المقصود أن يرفع رئيس الكهنة عن جبهته تلك الصفيحة الذهبية المقدسة ولا يعود يفكر فى خدمة الهيكل ، لكن المقصود أن يمتطى حصانه بنفس التفكير عن الله الذى يحمله عندما يدخل القدس .

ينبغى أن يكون يوم الأحد عينة لباقى الأسبوع ، وينبغى أن تكون ساعة الصلاة الصباحية عينة لكل اليوم .

لكنك قد تسأل : وكيف الوصول إلى هذا ؟ تطلع إلى فوق معتقداً بأن حياتك هى دعوة من الله .

فى رسالة كورنثوس الأولى نجد ثلاث دعوات : فى (١ كو ١ : ١) نجد هـذه العبارة « المدعو رسولاً » ، وفى (١ : ٢) « المدعوين قديسين » ، وفى (٧ : ٢٠) « الدعوة التى دعى فيها كل واحد فليثبت فيها » أى الدعوة لأعمالنا العالمية . إن هذه الدعوة الأخيرة عظيمة جداً كالدعوة لخدمة الله إذا كان كل منا يتمم عمله يوماً فيوماً من أجل يسوع .

فى سفر الرؤيا (١٣ : ١٦ و ١٧) نجد أنه « لا يقدر أحد أن يشترى أو يبيع إلا مَنْ له سمة الوحش على يده أو جبهته ». وفى نفس السفر أيضاً (٢٢ : ٤) نجد أن اسم الخروف سيكون على جباه عديدة . كل واحد منا إما أن تكون له على جبهته سمة الوحش ، أو سمة المسيح . نحن لا نستطيع أن نراها ،

لكن الملائكة يستطيعون . وعلى جبهة كل واحد من القراء الآن نُقشت بحروف من نور « قدس للرب » ، أو بحروف من ظلمة سمة الوحش .

ليتك من الآن تكرس حياتك بكليتها للمسيح ، إنه لن ينتزع منك أى شىء يفيدك ، لكنه يقبل ذاتك بكليتك ، وسوف يكون فرحاً جزيلاً لك من هذه اللحظة إلى نهاية العمر أن تعيش للمسيح وحده .

الفصل الرابع

ثالوث التجربة

بعد أن نزل الروح القدس مثل حمامة على الرب يسوع وقت المعمودية اقتيد بالروح إلى البرية ليجرب من إبليس ، وكلما ازداد المؤمن قوة ازداد هجوم الشيطان عليه .

وأعتقد أنه من الضرورى جداً للشجرة أن تهب عليها العواصف لكى تزداد تأصلاً فى الأرض . لما كنت ولداً صغيراً كان التلاميذ رفقائى يترددون على البساتين المجاورة وقت نضوج الفاكهة . فإذا ما رأيت الأولاد يذهبون إلى تلك البساتين أدركت أن الفاكهة فيها ناضجة ، وطالما كانت ثمار حياتك غير ناضجة ، بل حامضة ، فإن الشيطان لا يزعجك كثيراً . لكن حالما تنضج ثمار حياتك فيجب أن تتوقع بأن تسطو عليك كل شياطين جهنم لتسرقهـا . إن عرف عنك بأنك غنى سطت اللصوص على بيتك لأنهم لا يسطون على بيوت الفقراء . إن سطا إبليس على بيتك الروحى دل ذلك على أنك الآن صرت أفضل

مما كنت . إذن فاحسبوه كل فرح عندما تجربون .

ولدى تأملنا فى التجربة يجب أن نذكر بأن المؤمن إما أن يجرب من الله ، وفى هذه الحالة يكون معنى التجربة الامتحان ، أو أن يجرب من الشيطان . فى (عب ١١ : ١٧) نجد أن الله جرب إبراهيم ، أى امتحنه . الله يمتحننا لكى نقوم والشيطان يجربنا لكى نسقط . الله يضع فى طريقنا فرصة لكى تكون حجراً نصعد عليه إلى فوق والشيطان يضع فى طريقنا فرصة لكى تكون عثرة تسبب لنا السقوط .

ولست أريد الآن أن أتحدث عن ناحية الله فى التجربة أو الامتحان ، بل أريد أن أتحدث عن التجربة التى تؤدى إلى السقوط . وسنحصر التأمل فى بضع آيات ، أعتقد أنكم إذا فهمتموها ، أدركتم كل سر العهد الجديد . هذه الآيات هى فى الأصحاح الثانى من رسالة أفسس حيث تجدون فى الآيات العشر الأولى منه خلاصة تعاليم الرسول بولس . إنه يبدأ بحالتنا الخاطئة المروعة التى نشأت بسبب علاقتنا بأبينا الأول آدم ، لأن كل واحد متصل بآدم من جهة خطيته . إنه يقول : « وأنتم إذ كنتم أمواتاً

بالذنوب والخطايا أحياكم » (أف ٢ : ١) . ثم يتحدث عن ثالوث الشر .

فى العالم ثلاثة ثالوثات : الثالوث الذى فوقنا المتحد اتحاداً كاملاً ، وهو الآب والابن والروح القدس ، إله واحد . والثالوث الذى فى داخلنا ، أى الروح والنفس والجسد ، إنسان واحد . والثالوث الذى تحتنا أى العالم والجسد والشيطان .

فى (أف ٢ : ٢ و ٣) نقرأ هذه الكلمات : « التى سلكتم فيها قبلاً حسب دهر هذا العالم » . هنا نجد العالم . ثم نقرأ هذه الكلمات : « حسب رئيس سلطان الهواء » وهنا نجد الشيطان . ثم نقرأ هذه الكلمات : « فى شهوات جسدنا » وهنا نجد الجسد . هذه تكون متوفرة فى كل تجربة تأتى للانسان .

أولاً : العالم

وما هو العالم ؟ . فى (١ يو ٢ : ٢٦) نجد ما فى العالم « شهوة الجسد وشهوة العيون وتعظم المعيشة » . هذه هى النواحى التى حاول الشيطان أن يجرب المسيح بها على الجبل ، وهذه هى التى قال عنها الرسول إنها فى العالم ، ولكنه لم يعطنا تعريفاً للعالم .

إن العالم فى الواقع هو مظهر الأشياء ، أو شبهها ، أو هو سراب . إن الفلسفة الهندوسية تدعوه « ميا » ، أى ما يجذب ، هو سحر أو حلم ، هو ما يغوى النفس ويربكها ، يعد بأن يُعطى الكثير لكنه لا يُعطى شيئاً . ألا تشعر عندما تجرب أن هنالك شيئاً من الطعم مقدماً لك ، شيئاً مقدماً لك لكى تحصل عليه ، لذة معينة أو بعض الفرح ؟ وحقيقة الأمر أنك لن تحصل على لذة مستديمة عندما تستسلم للتجربة . إنها مجرد سراب .

وكما أن الولد إذا قذف بفقاعات الصابون التى تتلألأ بألوان جميلة كثيرة جداً فإنها إذا لمست شيئاً تتحول إلى نقط ماء ممتزج بالصابون ، هكذا من يتمسك بالعالم فإنه دائماً لا يمسك إلا بشبه الأشياء ، يمسك بما هو غير حقيقى .

ثانياً : الجسد

أما عن الجسد فلا يوجد تعريف له أفضل مما ورد فى (رو ٧ : ١٨) حيث يقول الرسول : « فى أى فى جسدى » . فجسدى هو أنا ، هو الذات . حيثما وجدت إنساناً يعيش لذاته يجب أن تدرك

بأنـــه يحيـــا حسب الجســـد .

إن محور الخطية هو الأنانية ، أى «أنا»، ومحور محبة الذات هو الأنانية . لقد تم السقوط بسبب الأنانية ، أى بسبب وضع الذات مركزاً للحياة . أما الفداء فهو وضع الإنسان ثانية فى مركز المحبة ، الذى ليس هو الذات . والله يتمم عمله فيك عندما تحيا ، ليس أنت ، بل يحيا المسيح فيك (غل ٢ : ٢٠) .

إن الذات هى لعنة حياتنا قبل التجديد وبعده ، قبل التجديد كانت ترتدى خرقاً مهلهلة ، أما بعد التجديد فإنها ترتدى ثياباً بيضاء جميلة . لكن الشيطان لا يبالى إن كانت ترتدى هذه الثياب أو تلك طالما كانت هى فينا وهى المتسلطة علينا .

تعتبر رسالة غلاطية أهم رساله تتحدث عن الجسد ، وكيف نعالجه ، فيها نجد فقرتين ألفت أنظاركم إليهما :

الأولى فى (غل٥ : ١٩) حيث يعدد الرسول أعمال الحياة غير المتجددة : زنا ، عهارة ، نجاسة ، دعارة إلخ . والثانية فى (غل ٣ : ٣) حيث نرى هنالك أشخاصاً بدأوا بالاعتماد على المسيح للتبرير ، وبعد ذلك اجتهدوا أن يجعلوا أنفسهم كاملين

بمجهوداتهم الشخصية . لقد فكروا فى أن يكملوا أنفسهم بأنفسهم . هكذا كلما سمعت أشخاصاً يتحدثون عن خلاصهم ، أدركت أنهم يدورون حول محور الذات .

أعتقد بأن الله لا يمكن أن يهدأ إلا إذا تحررنا من الذات وحل المسيح بمائه فى قلوبنا ، وأصبح شعارنا « لا أنا بل المسيح يحيا فىّ » ، وعشنا لا لأنفسنا بل ليسوع المسيح الذى مات لأجلنا. إن التجربة التى يقدمها إلينا الشيطان هى أن يدفعنا لكى نحيا حياة الذات . ولكى يفعل هذا فإنه يضع أمامنا سراب الملذات التى يقول إنها سوف تصبح لنا إن جعلنا الذات هدفنا .

ثالثاً : الشيطان

كلما ازددت قرباً من المسيح كلما ازداد الشيطان هجوماً عليك. إن الذين يتوهمون بأن الشيطان ليس شخصية حقيقية لا يهاجمون العهد الجديد فقط بل يُظهرون جهلهم بحقيقة المسيح .

إذا نجح الشيطان فى أن يجعل أى إنسان يعتقد بأن الشيطان شخصية وهمية لا وجود لها ، يكون الشيطان قد نجح فى إتمام قصده . إن الشيطان لا يتعب نفسه مع غير الأتقياء ، لكن

هجومه يشتد على من يزدادون اقتراباً من المسيح . إن كنت شريداً على حافة السقوط فإنه لا يصيبك أذى .

واضح أن الشيطان شخصية حقيقية لأن الرب يسوع قال « رئيس هذا العالم يأتى وليس له فىّ شىء » (يو ١٤ : ٣٠) . لاحظ أيضاً ما ورد فى (٢ كو ١١ : ٣) « ولكننى أخاف أنه كما خدعت الحية حواء بمكرها هكذا تفسد أذهانكم عن البساطة التى فى المسيح » . ثم ما ورد فى (يو ١٢ : ٣١) « الآن دينونة هذا العالم . الآن يُطرح رئيس هذا العالم خارجاً » . وأيضاً (رؤ ٢٠: ٢) « فقبض على التنين الحية القديمة الذى هو إبليس والشيطان وقيده ألف سنة » .

وطبيعى أن الشيطان لن تكون له صفات الله فهو ليس قادراً على كل شىء ، ولا عالماً بكل شىء ، ولا حاضراً فى كل مكان . فهذه هى صفات الله وحده .

إن « مصارعتنا ليست مع دم ولحم بل مع الرؤساء مع السلاطين مع ولاة العالم على ظلمة هذا الدهر مع أجناد الشر الروحية فى السماويات » (أف ٦ : ١٢) ، وإننى أعتقد أنه وراء كل

مكان دنس شرير يوجد شيطان ، ووراء كل مكان مظلم فى العالم لم يصل إليه نور الإنجيل توجد ربوات من الشياطين يقوم تحتها « رؤساء وسلاطين » (دا ١٠) .

فى عبارة وجيزة واحدة نلخص مخلصنا تاريخ الشيطان : « ذاك كان قتالاً للناس من البدء ولم يثبت فى الحق » (يو ٨ : ٤٤) .

هنا تجد أصله . لعله كان سابقاً رئيس ملائكة ، وإذ خُلق فى الحق لم يستمر فيه ، ولم يحفظ رياسته ، حسب تعبير يهوذا الرسول (يه ٦) . قبل أن يسقط الشيطان ، وقبل أن يتخذ هذا العالم شكله الحالى ، فى الفترة بين الآية الأولى والآية الثانية من الأصحاح الأول من سفر التكوين كان الشيطان وكيل الله . ولعل هذا كان ماثلاً أمام الرب يسوع المسيح عندما تحدث عن الشيطان على أساس أنه رئيس هذا العالم . عندما كان رئيس ملائكة قبل سقوطه ، أعتقد أن الله جعله رئيساً ربما على الشمس والعوالم التابعة لها . وعندما سقط جذب معه ملائكة آخرين وهذا العالم الذى صار يئن منذ ذلك الوقت « إذ أخضعت الخليقة للبطل . ليس طوعاً بل من أجل الذى أخضعها على الرجاء . لأن

الخليقة نفسها أيضاً ستعتق » (رو ٨ : ٢٠ و ٢١) . وإننى أعتقد بأن الأعصار والعواصف ، والأمواج المكتسحة ، والكثير مما يربكنا ويحيرنا فى هذا العالم إنما هو نتيجة لرد الفعل الحادث من ذلك السقوط الأصلى الذى سقطه الشيطان رئيس العالم .

والآن ، لماذا يجرب الشيطان الإنسان ليسقطه ؟ وماذا كان سبب السقوط من جانب الشيطان ؟

فى (تك ١ : ٢٦) « قال الله نعمل الإنسان على صورتنا كشبهنا فيتسلطون » . ويبدو بأن الشيطان حالما سمع هذا قال لنفسه : يتسلطون ؟ البشر يتسلطون ؟ هذا لن يكون . إننى أنا السيد هنا حتى وإن كنت قد سقطت . هذه هى قصورى ، ودورى ، والإنسان لن يسود هذا العالم .

ومن أجل هذا وضع خطته بأن يخضع له الإنسان . وهكذا أصبحت كل خلاصة السقوط أن يتسلط الشيطان ، وأن ينتزع من جبين الإنسان ذلك الإكليل الذى وضعه عليه الخالق .

فى الأصحاح الثالث من سفر التكوين نجد رواية السقوط. هنالك كانت الشجرة المبهجة للعيون والشهية للنظر « شجرة

معرفة الخير والشر » ، أى الشجرة التى تُشتهى لكى تصيِّر الإنسان حكيماً .

هنا نجد العالم ، أى المنظر ، والشبه ، والسراب الجميل . لقد اشتهى الإنسان أن يصير حكيماً ، أن يكون كالله .

ثم نجد الشيطان يتحدث عن طريق الحية .

ونجد أيضاً الجسد الذى فيه وبه نظرت حواء « فرأت المرأة أن الشجرة جيدة للاكل » (ع ٦) .

لما كنت شاباً لم أستطع فهم ما قرره « ملتون » الشاعر الإنكليزى عندما كتب كتابه « الفردوس المفقود » مبيناً فيه أن استرداده يتوقف على تجربة المسيح . كان يخيل إلىَّ دائماً أن استرداده يتوقف على الجلجثة . عندما أخضع الشيطان الإنسان كن يبدو بأن قصد الله قد تعطل ، لكن الله تجسد ، وقابل الشيطان ، وداسه تحت قدميه ، وبانتصاره عليه انتصر الإنسان .

عندما التقى الرب يسوع للمسيح بالشيطان فى البرية كان ذلك تكراراً للتجربة الأولى ، لكن الظروف كانت أسوأ . فالتجربة لم تكن فى جنة بل فى برية ، ولم تكن عن طريق شجرة شهية

الثمر ، بل عن طريق حجارة البرية وجوع ألم بجسد مخلصنا .

لقد قال الشيطان لحواء : لكما كل ما تحتاجان إليه لتأكلا . والآن كلى من هذه الثمرة لتجعلك حكيمة . لكن المجرب كان يعرف أن المسيح قد جاع فقال له : لك سلطان فاستخدمه ، ووفر لنفسك الطعام . أما المسيح فقال : كلا فإننى لن آكل تلبية لندائك ، وفى اللحظة التى قال فيها هذا فك الوثاق الذى كان الشيطان قد أوثق به آدم وكل جنسنا .

والعالم أيضاً جرب المسيح . فقد أراه الشيطان فى لحظة ذلك السراب ، أى كل ممالك العالم ، وقال له : أنظر ، ما أجمل هذه الإمبراطورية . لا داعى لكى تموت ، ولا داعى لكى تحمل الصليب . هذه كلها ملك لى . وأنا أستطيع أن اعطيها لك إن خررت وسجدت لى .

لقد كان المسيح يعرف بأنه إن سجد له تحولت هيئة العالم إلى تراب وتبخر وعد الشيطان . ذلك لأنه كاذب . كان لابد أن يموت المسيح . ومن أجل هذا قاوم تجربة العالم : كلا يا شيطان ، أنت لا تملك أن تعطينى العالم ، فهو ملك لى ، ويتحتم علىّ أن

أفديه بالموت ، موت العار .

هنالك جبلان فى حياة مخلصنا ، جبل التجربة ، وجبل الصعود . على جبل التجربة رأى المسيح ممالك العالم وقال له الشيطان : « أعطيك هذه كلها إن خررت وسجدت لى » . لكن الرب نزل من هذا الجبل إلى الآلام وإلى الموت . وأخيراً خرج من الصليب ومن القبر إلى الضفة الأخرى أعظم من منتصر وقال : « دُفع إلىّ كل سلطان فى السماء وعلى الأرض . إذهبوا اكرزوا » . لقد رفض ما عرضه عليه الشيطان ، وسوف نسمع يوماً ما الترنيمة ترن فى عالم المفديين قائلة : « قد صارت ممالك العالم لربنا ومسيحه » (رؤ ١١ : ١٥) .

لكن يجب أن نذكر بأن المسيح إذ جُرب وإذ صُلب ، كان يمثل الجنس البشرى ، وعندما حارب العالم وإبليس كان يمثلنا . وإن كان قد انتصر على إغراءات وتجارب العالم وقتئذ فلاشك أنه ينتصر عليها الآن وهو فى مجد القيامة لقد قال صراحة : « رئيس هذا العالم يأتى وليس له فىّ شىء » (يو ١٤ : ٣٠) . وقال أيضاً : « أنا قد غلبت العالم » (يو ١٦ : ٣٣) .

عندما مات مخلصنا داس الشيطان تحت قدميه ، وسحق رأس الحية . وعندما قام كممثلنا أعلن نصرته على الشيطان ، ورد لآدم سلطانه الذى سبق أن فقده . وإن كنا « لسنا نرى الكل بعد مخضعاً » للانسان إلا أننا نرى يسوع « مكللاً بالمجد والكرامة » (عب ٢ : ٨ و ٩) . عندما صعد الرب صعد الإنسان فوق إبليس ، واستعاد المجد والكرامة ، والقوة والسلطان ، هذه التى سبق أن منحها له الله فى اللحظة التى خلقه فيها . وعندما رأى الشيطان أن المسيح رفع جنسنا ، وقت صعوده ، ليجلس فى المجد ، أدرك أن عمله فى آلاف السنين قد ذهب أدراج الرياح ، وأن قصد الله لابد أن يتم بالرغم من كل مقاومات الشيطان ، وقصد الله هذا هو أن يكون للانسان السلطان والقوة .

والآن نرى هنا إنسانين : الإنسان الأول هو آدم . بالميلاد الأول وُلدنا كلنا منه ، فكلنا أبناء إنسان ساقط . والشيطان يعرف هذا ، وطالما كنا نحيا فى الإنسان العتيق فإنه يرى نفسه حراً ليفعل بنا كما يريد ، لأنه سبق أن أخضع الوالد ، وهو يعرف أنه يستطيع أن يخضع الابن . أما بالميلاد الثانى فقد وُلدنا من

الإنسان الثانى ، الرب يسوع المسيح الملك ، ونثبت فيه ، وهو قد جعلنا ملوكاً وكهنة . والمؤسف أن الناس لا ينتفعون بصفتهم الملوكية .

من أهم المواضيع التى يستطيع أن يقدمها خادم الإنجيل لمستمعيه أن يبين بأن قصد الله أن يجعل البشر ملوكاً ، وأن يبين أيضاً حسد وغيرة الشيطان وسعيه لتعطيل هذا القصد . وإذ أبى الله أن يفشل قصده فإنه نزل وحارب الشيطان ، وسحق رأس الحية . لقد انتصر عليه فى البرية ، وانتصر عليه فى كل خطوة من خطوات حياته على الأرض ، والتقى به على الصليب مرة أخرى ، وقال له الشيطان « نج نفسك » أما الرب فأجاب : كلا ، ينبغى أن أموت لكى أحمل خطية العالم . وعندما نؤمن هكذا ، ونتخذ موقفنا فى الرب المقام ، فإن الشيطان يصبح عديم القوة .

حدث مرة فى سويسرا أن سائحين ذهبا لاكتشاف بعض قمم جبال الألب الصعبة المراس . فأخذا معهما ثلاثة مرشدين . وعندما وصل الجميع إلى جرف من الثلج شديد الانحدار ربطوا أنفسهم جميعاً بحبل واحد . أولاً مرشد ، ثم سائح ، ثم مرشد ، ثم سائح ، وأخيراً مرشد . وبعد ذلك بدأوا يتسلقون الثلج .

وكان المرشد الأول كلما تقدم خطوة نقر نقرة فى الثلج لتكون بمثابة درجة يضع الآخرون عليها أقدامهم خشية الانزلاق . وهكذا استطاعوا أن يتسلقوا بسهولة . وفى منتصف الطريق زلت قدم الشخص الأخير . وإذ تأرجح انزلقت قدم الشخص الذى فوقه . وهكذا الثالث والربع .

وعندما أدرك الشخص الأول الذى فى مقدمتهم ما حصل ، سحب بلطة الثلج ، وبكل قوته ثبتها فى الثلج وأمسك بها . وإذ وقف ثابتاً ، استطاع الشخص الذى تحته أن يثبت قدمه ، وهكذا الذى تحته إلى الباقين ، حتى نجا الجميع لأن الأول ثبت .

إن الرب يسوع المسيح قد ربطنا به ، لكن البعض منا زلت أقدامهم . أما إن ارتبطنا بالمسيح بالإيمان ، فإننا نثبت رغم كل التجارب . لقد سحق المسيح الشيطان تحت أقدامنا .

الفصل الخامس

قانون تفكيرنا

سبق أن أوضحت بأنك يجب أن تتوقع أن تجرب إلى نهاية حياتك ، وأنك كلما اقتربت من الله ازدادت تجاربك ، وأن وجود التجارب فى حياتك ليس دليل الفساد ، بل بالعكس ، لأنك كلما ازدادت معرفتك بالله ازدادت معرفتك لتجارب الشيطان .

وإن أردت أن تُحفظ من الاستسلام للتجارب يجب أن تعنى جداً بأفكارك . وسأتحدث الآن بنعمة الله عن ضرورة العناية بأفكارنا .

احفظ قلبك طاهراً

أولاً لنتأمل فيما ورد فى (أم ٤ : ٢٣) حيث يقول سليمان الحكيم « فوق كل تحفظ احفظ قلبك ، لأن منه مخارج الحياة » .

أنت تحفظ ثروتك ، وتحفظ بيتك ، وتحفظ صحتك ، وتحفظ أخلاقك . لكن فوق كل تحفظ احفظ قلبك . لماذا ؟ لأن منه مخارج الحياة .

عندما أراد يوحنا بنيان أن يصور صفات الجهل صوّره يقـــول :

« أعتقد بأن قلبي طيب كقلب أى إنسان آخر . أما عن أفكارى فإننى لا أبالى بها » .

إنه يبين لأول وهلة بأنه لا يعرف نفسه ، وأنه معرض لكل تجربة تعترض طريقه . إن كنت لم تراقب أفكارك قط من قبل فإنك سوف تدرك فيما بعد أن أول إيحاء بالخطأ يأتى عن طريق العقل .

تأمل ثانية فى (أم ٢٣ : ٧) « لأنه كما شعر فى نفسه هكذا هو (١) » . إن الأفكار تصنع الخط الحديدى الذى تسير عليه عربات الترام ، وكما يشق الترام طريقه وفق الخط الحديدى الذى رُسم له هكذا تسير أعمالنا وفق الطريق الذى رسمته أفكارنا .

أعرف أن هنالك من يقولون : يجب أن لا أعمـل هذا العمل ، لكن يسوغ لى أن أتلذذ بالتفكير فى إتمامه . هنالك

(١) « فإنه كما نوى فى نفسه كذلك يكون » حسب ترجمة اليسوعيين ، أو « فإنه كما يفكر المرء فى قلبه هكذا يكون » حسب الترجمة الانكليزية .

أشخاص لا يجرؤون على ارتكاب أفعال دنسة ، لكنهم فى ساعة الظلام يسمحون لأفكارهم بأن تتجول حيثما يريدون وهم يظنون أنهم قد تجنبوا الشر . لكن ليعلموا بأن تلك الأفكار كلها معلومة لدى الله ، وأنهم سوف يعطون حساباً عنها يوم الدينونة . وليعلموا بأن الأفكار التى سمحوا بها فى قلوبهم سوف تجد لها مخرجاً ، وسوف يتممون فى حياتهم بعض الأعمال - نتيجة لهذه الأفكار الدنسة - ربما بعد عشر سنوات .

فى بعض الأحيان يبـدو أمراً مرعباً أن يُقضى على الحياة بسبب عمل واحد ، وقد تميل إلى العطف على هذا الإنسان وتقول إنها لقسوة عليه أن يصبح كسيحاً قعيداً باقى أيام حياته بسبب عمل شهوانى ارتكبه فى لحظة . لكن اذكر بأن العمل لا يمكن أن يقف وحيداً ، فإنه فى الواقع يتضمن سلسلة أفكار دنسة كان يتلذذ بها المرء ، ولذلك لا تحكم على هذا العمل الواحد بل على سلسلة الأفكار التى نشأ عنها هذا العمل . قبل أن تسقط الشجرة بسبب الريح التى هبت عليها كان السوس ينخر فيها .

شر الإنسان

تخبرنا كلمة الله فى (تك ٦ : ٥) أن « الرب رأى أن شر الإنسان قد كثر على الأرض ، وأن كل تصور أفكار قلبه إنما هو شرير كل يوم ». فى أيام نوح كان ما ضايق الله من الإنسان هو أفكاره . إن كل هدف الكتاب المقدس هو أن تستقيم أفكارنا .

وإننى ألفت أنظاركم إلى آية أخرى وردت فى (فى ٤ : ٨) وهى عكس الآية السابق الإشارة إليها من سفر التكوين : « كل ما هو حق ، كل ما هو جليل ، كل ما هو عادل ، كل ما هو طاهر ، كل ما هو مسر ، كل ما صيته حسن . . . فى هذه افتكروا » .

على أبواب قلوبكم تأتى دواماً مئات وألوف الأفكار ، ويجب أن تحرصوا على أن ترفضوا الأفكار الشريرة وتقبلوا فقط تلك التى صيتها حسن . إن كانت هذه فقط هى التى تسكن فى قلوبكم فلا حاجة إليكم أن تخشوا على أخلاقكم .

قال « بتلر » : توجد ثلاث خطوات لتكوين الأخلاق : العمل ، العادة ، الأخلاق . العمل ينشىء العادة ، والعادة أو

مجموعة العادات تنشىء الأخلاق . أما « ثاكارى » فيبسط هذه العبارة قائلاً : إزرع فكرة تحصد عملاً ، إزرع عملاً تحصد عادة ، إزرع عادة تحصد أخلاقاً ، إزرع أخلاقاً تحصد المصير .

ولقد أعلن الرب نفس هذه الحقيقة فى (مر ٧ : ٢١) « لأنه من الداخل من قلوب الناس تخرج الأفكار الشريرة » . وبعد ذلك يذكر أسماء بعض الخطايا « زنى فسق قتل سرقة طمع الخ ». وكلها تبدأ بالأفكار الشريرة .

وفى (أف ٢ : ٣) نقرأ هذه الكلمات : « الذين نحن أيضاً جميعاً تصرفنا قبلاً بينهم فى شهوات جسدنا عاملين مشيئات الجسد والأفكار ». أرجو أن تذكروا بأن المشيئات فى حد ذاتها ليست شراً ، وأن رغبات طبيعتنا وميولها ليست فى حد ذاتها شراً ، فالله قد أعطاها لنا لنحسن استعمالها . لقد وضع فى داخلنا الشهية والرغبات والميول كهبات جميلة منه ، لكن الشر ينتج بطريقتين: (الأولى) إن كنا نشتهى الأشياء البريئة أكثر من اللازم (والثانية) إن كنا نشتهى إشباع رغباتنا بطريقة خاطئة . كلما تعدت المشيئات حدودها ، أو طلبت إشباعها بطريقة خاطئة ، صارت شهوة .

أنت لا يمكنك منع الأفكار الشريرة عن أن تأتى إليك . قال أحدهم : « إنك لا تستطيع أن تمنع الطيور من أن تحلق فوق رأسك ، لكنك تستطيع أن تمنعها من أن تبنى عشها فى شعرك » .

إن بعض هذه الأفكار جزء منا بالوراثة . الصحف والكتب التى نقرأها ، والصور التى نشاهدها هنا وهنالك ، والأحاديث التى نستمع إليها ـ وأشياء أخرى كثيرة حولنا تثير فينا الأفكار وتغرينا . وهكذا نجد مشيئات دنسة تمثل أمام عقولنا ، لكننا يجب أن لا نكملها . قد تهاجمنا تجربة الشهوة . لكن هنالك فرق شاسع بين هذا وبين أن نشبع الشهوة . قد تأتى الأفكار الشريرة إلى بابك وتقرع ، لكنك تستطيع أن تُبقى الباب مغلقاً . إنك تخطىء عندما تفتح باب قلبك ، وتسمح للافكار الشريرة بالدخول وتمعن التفكير فيها . عندئذ تصبح المشيئات شهوات .

فى (يع ١ : ١٤ و ١٥) نقرأ هذه الكلمات : « كل واحد يُجرَّب إذا انجذب وانخدع من شهوته . ثم الشهوة إذا حبلت تلد خطية . والخطية إذا كملت تنتج موتاً » . واسمحوا لى أن أوضح الأمر بالالتجاء إلى علم النبات .

أنتم تعلمون بأن الزهور فيها المذكر والمؤنث ، وإذ يأتى النحل ليجمع العسل من زهرة ينقل حبوب اللقاح إلى زهرة أخرى ، فتكون النتيجة زهور وثمار . وهذا ما يحدث فى قلب الإنسان تماماً . إنه مفتوح دواماً ، فيأتى النحل من كل الأصناف حاملاً حبوب لقاح الأفكار الشريرة . وإذا ما غرست هذه الحبوب فى مشيئات طبيعتنا تحدث النتيجة التى تحدث عنها يعقوب الرسول . حالما تسمح للافكار الشريرة بالامتزاج بطبيعتك فإنها تنتج أعمال الخطية ، والخطية إذا كملت تنتج موتاً .

لست أتحدث الآن عن الحالة الخاطئة التى ورثناها من آدم ، بل عن أعمال الخطية . إن الشهوة إذا حبلت تلد ابنها ، أى الخطية ، ثم تلد حفيدها ، أى الموت . هنا نجد الوالد ، والابن ، والحفيد .

والآن يمكننا القول أن الأفكار الشريرة تطير وتحوم حولنا كالميكروبات . لقد تقدمت الجراحة فى العالم بفضل اكتشاف تأثير الميكروبات وتعلمنا الآن أن الهواء ملىء بالميكروبات ، ولهذا فإن الجرّاح يحفظ الآلات الجراحية فى مطهر حتى إذا ما استخدمها

فى أية عملية جراحية لا تحمل الميكروبات إلى الجسم وبذلك يمنع تقيح الجروح بسبب وجود الميكروبات فيها .

إن ما تفعله الميكروبات للجسد تفعله الأفكار الشريرة للنفس. وكما أنك تستخدم المطهرات لمنع الميكروبات هكذا ينبغى أن تحيا فى الروح ، وتسلك فى الروح ، ذلك هـو المطهر من الأفكار الشريرة . هـذه الأفكار تأتى من الشيطان « لئلا يطمع فينا الشيطان لأننا لا نجهل أفكاره » (٢ كو ٢ : ١١) . والشيطان ينفث فينا دواماً أفكاره الشريرة .

ولزيادة الإيضاح أقدم لكم تشبيهاً . فالنفس تشبه قلعة ذات باب متسع . كثيرون يتركون باب نفوسهم مفتوحاً ، فيأتى كل فكر شرير دنس ويدخل ليفعل ما يشاء . على باب نفوسكم توجد أفكار كثيرة تبدو بريئة ، لكنها فى الواقع مخادعة جداً . إن تركت بابك دون حراسة دخلت هذه الأفكار وأفسدت نفسك بالشهوة .

ولذلك فلكى نعالج أفكارنا يلزم أمران : أولاً التمييز ، وثانياً الاحتفاظ بالقوة . نقرأ فى (إش ٢٨ : ٥ و ٦) ما يلى :

« فى ذلك اليوم يكون رب الجنود روح القضاء للجالس للقضاء وبأساً للذين يردون الحرب إلى الباب » . فرب الجنود يكون أولاً روح القضاء وثانياً بأساً أو قوة . أليس هذان ما نحتاج إليهما ؟

أولاً : التمييز

نحتاج أولاً إلى القـدرة على فرز الأفكار الشريرة من الأفكار الطيبة . نحتاج إلى أن نعرف المخادع ، مهما ارتدى ثوباً جميلاً ، ولا نسمح له بالدخول .

ولماذا نحتاج إلى التمييز ؟ لأن « إلـه هـذا الدهر قد أعمى أذهان (أى أفكار) غير المؤمنين (أى الأشرار) » (٢ كو ٤ : ٤) . إن الإنسان البعيد عن الله أعمى . إنه يجلس عند باب نفسه ، يسمع وقع أقدام كثيرة ، لكنه لا يقدر أن يميز الشرير من الصالح . إنه أعمى ، ولذلك فإن كل الأفكار عنده على حد سواء ، وهو يسمح لها كلها بالدخول لملاكه .

وثانياً لأن الفكر قد اظلم لابتعاده عن حياة الله لسبب الجهل (أف ٤ : ١٨) . إن النور باهت جداً للنفس ، وحتى إن حاول

المرء أن يرى فإنه لا يقدر لأن الأفكار الشريرة والأفكار الصالحة تدخل على حد سواء فى النور الباهت ، دون أن يميز بين هذه وتلك . لقد عشت بضع سنوات من حياتى جاهلاً طبيعة أفكارى الحقيقية ، لأننى كنت أعمى أعيش فى نور باهت . أما الذين يعيشون قريبين من الله فإنهم يميزون هذه الأفكار بسهولة.

طلب رجال إسرائيل من أعدائهم الهاربين أن يقولوا « شبولت » فقالوا « سبولت » (قض ١٢ : ٦) . لم يستطيعوا أن ينطقوا حرف «ش»، فأمسكهم رجال إسرائيل وقتلوهم لأنهم كانوا مخادعين . إننا نحتاج إلى امتحان كهذا على باب القلب لكى نلتقى القبض على الأفكار الشريرة . إن كانت هنالك فكرة لا تقدر أن تنطق باسم المسيح جيداً فاطرحها خارجاً ، اسألها : هل تقدرين أن تقولى يسوع ؟

« وأما الروحى فيحكم فى كل شىء وهو لا يُحكم فيه من أحد » (١ كو ٢ : ١٥) . إننى أعتقد بأن إحدى العلامات المميزة للانسان الروحى هى سرعة التمييز . من جهتى شخصياً أقرر بأننى كنت لا أرى الخطية إلا إذا كانت قريبة جداً منى ،

أما الآن فإنى أستطيع أن أراها من بعيد . ونحن كلما تقدمنا فى الحياة الروحية ازددنا إدراكاً للخطية . من الخطأ ، بل من الخطر ، أن ننتظر حتى نرى العدو فى مواجهتنا . ليتنا نصغى لكى يمنحنا الرب سرعة التمييز .

توجد فى (عب ٥ : ١٤) آية ساعدتنى كثيراً : « الذين بسبب التمرن قد صارت لهم الحواس مدربة على التمييز بين الخير والشر » .

« بسبب التمرن » نزداد قدرة على التمييز . إذا ما سرت مع رجل البادية فى أية برية ، فإننى ألاحظ أنه ينظر إلى ذلك الغصن الأعوج وإلى تلك الحشائش التى قد ديست فيبدأ بالقول : « لقد كان هنا شخص ما » . لربما لا أستطيع أنا أن أرى أية آثار لوقع الأقدام ، لكن رجل البادية ، فإنه بسبب التمرن ، قد صارت له الحواس مدربة على التمييز لمعرفة الطريق الذى سار فيه الإنسان الذى حل فى ذلك المكان .

إن الكثيرين منا لا يستخدمون حواسهم الروحية . لقد أعطانا الله أنفاً لنشم به ، وعيوناً لنرى بها ، أيادى لنلمس بها ،

ولساناً لنذوق به . إننا نتكون من ثلاثة عناصر ـ الجسم والنفس والروح . والنفس لها حواس مساوية لحواس الجسم والروح لها أيضاً حواسها التى لم يبدأ بعد الرجل البعيد عن الله بأن يستخدمها. أما إن كنت روحياً فإنك تستخدم هذه الحواس الروحية لتميز الأفكار عندما تأتى إلى قلبك . « بسبب التمرن » تصير لك « الحواس مدربة على التمييز بين الخير والشر » .

أذكر أننى إذ كنت فى إحدى المرات عائداً من الولايات المتحدة عبر المحيط امتلأت رئتاى بالأوزون (نوع من الأوكسجين) . وإذ وصلت إنكلترا ذهبت إلى مكان به منهل للمياه ، للاقامة مع أصدقاء أعزاء . فقالوا لى : « أليس هذا مكاناً جميلاً ؟ » .

حاولت أن أقنع نفسى بفكرتهم ولكننى إذ خرجت إلى عتبة الباب ميزت رائحة رديئة جداً ، فقلت : « آسف جداً لأنى لا أعتقد أن هذا مكان صحى كما تعتقدون » . فقالوا : « لا شك أنه مكان صحى ، إذ تهب عليه ريح من بحر الشمال » . ولما بحثت جيداً وجدت مزرعة تروى بمياه المجارى على بعد نحو ميل واحد

من البيت ، ومنها تهب نسمة تضيّع فائدة نسيم البحر . عندئذ سألنى أصدقائى كيف صارت لى حدة الشم ؟ فأجبت : « أنتم أتيتم من لندن حيث تعيشون فى جو فاسد ، أما أنا فقد أتيت من المحيط الأطلسى حيث قد تعودت على شم الهواء النقى . ولهذا فإننى أستطيع أن أميز الرائحة الكريهة التى لا تستطيعون أنتم تمييزها » .

إن كنتم تعيشون وسط أشخاص أشرار ، وكتب فاسدة ، وأشياء عاطلة ، فإنكم تفقدون قوة تمييز الأفكار الشريرة عندما تأتى لتحوم حولكم كالميكروبات . أما إذا كنتم تصرفون كل يوم ساعة فى جبال الله ، أو فى بحر الكتاب المقدس الواسع ، فإنكم تقدرون أن تميزوا الأشياء الخاطئة التى يعبر عليها غيركم ـ حتى من المؤمنين ـ ولا يرون فيها شيئاً من الخطأ .

ثانياً : الاحتفاظ بالقوة

لقد رأينا أهمية تعلم التمييز بين الأفكار الشريرة والأفكار الصالحة . لكننا نجد أن أفكاراً شريرة ، ونحن نعرف أنها شريرة ، تقرع طول اليوم على باب قلبنا ، الذى هو باب النفس ،

وهذه الأفكار تتكاثر جداً ، وفى بعض الأحيان يبدو لنا بأنه ليست لنا القوة على منعها من الدخول . ولهذا فإنها تدخل ، رغم أننا نبغضها ونتضايق منها ، ونتمنى أن نفعل أى شىء للتخلص منها . لكنها فى الحال تدفعنا لارتكاب أى عمل خاطىء . لاشك أن مؤمنين كثيرين يدركون معنى هذا الكلام .

هنا يحسن بنا أن نتأمل فى (١ بط ٤ : ١٩) حيث يقول الرسول : « فإذاً الذين يتألمون بحسب مشيئة الله (لأنهم أمناء لمشيئة الله) فليستودعوا أنفسهم كما لخالق أمين فى عمل الخير » .

« فليستودعوا » . قبل أن تغادر غرفتك فى الصباح استودع نفسك لله واطلب منه أن يحفظ باب قلبك .

« كما لخالق أمين » . ولماذا دُعى هنا خالقاً ولم يُدع فادياً أو مخلصاً ؟ لأنه خلقك ، وإن كان قد خلقك ألا يكون قادراً على حفظك ؟ أيعقل بأن من خلقك كما أنت الآن يسمح بأن يتخلى عنك لتنجرف أمام الشر ؟ إنه خالق أمين . لقد خلقك ، وهو يعرف كيف يحفظك . إن الصانع الذى صنع القفل يعرف كيف يفتحه ، فاعتمد على أمانته .

سلام الله

أختم هذا الفصل بآيتين مرتبطتين معاً ارتباطاً وثيقاً : الأولى واردة فى (كو ٣ : ١٥) « وليملك فى قلوبكم سلام الله » ، وكلمة « يملك » تعنى التحكم . أترك لسلام الله أن يقول لك ماذا ينبغى أن تفعله وماذا ينبغى أن لا تفعله . والثانية واردة فى (فى ٤ : ٧) « وسلام الله يحفظ » ، وكلمة « يحفظ » تعنى يحرس كالديدبان . وهكذا نجد سلام الله يملك ، ويحرس ، ويحفظ . تأمل فى سلام الله ، كملاك نور ، يتمشى هنا وهنالك على باب قلبك لكى يحفظه .

كنت أتحدث مرة عن إخلاء القلب ، وشبهت القلب بزجاجة ماء . إننى أستطيع إخلاء الزجاجة إما بسكب الماء على الأرض ، أو بملئها بالزئبق الذى هو أثقل من الماء ، وإذا ما دخل الزجاجة طرد الماء . وهكذا تخلو الزجاجة من الماء عندما تمتلىء بالزئبق ، كأننى قد سكبت الماء على الأرض . إنه من المستحيل أن تخلى قلبك بطرد الخطيئة ، لكنك تستطيع أن تخليه بملئه بيسوع المسيح . فاطلب من الروح القدس بأن يملأك بيسوع المسيح لكى لا يكون للشيطان مكان فى قلبك .

الفصل السادس

الرجل القوى المسلح

« حينما يحفظ القوى داره متسلحا تكون أمواله في أمان . ولكن متى جاء من هو أقوى منه فإنه يغلبه ويتزع سلاحه الكامل الذى اتكل عليه ويوزع غنائمه »
(لو ١١ : ٢١ و ٢٢) .

أريد أن أحدثكم عن بيت أعرف عنه بعض الشيء لأننى قضيت سنوات عديدة فى بيت مماثل . يحتوى هذا البيت على ثلاث طبقات ، ومنظره من الخارج رائع الجمال . يقول البعض إنهُ بنى ليكون قصراً لأحد الملوك . فمظاهر المجد والعز تملأه من الداخل ، ولو أن بعض الغرف قد زال عنها العز الآن .

الطابق السفلى هو الأكثر استعمالاً . فالمطبخ فى أحد أطرافه البعيدة ، وفيه يقضى السكان وقتاً طويلاً ، وبجوار صالون الشرب غرفة المخدرات التى اكتظت بأنواع مختلفة من المخدرات ، وبعد ذلك توجد غرفة التسلية ، وخلفها غرفة النوم ، وخلف هذه غرفة أخرى مغلقة على الدوام إذ ترتكب فيها سراً

أمور ذكرها أيضاً قبيح .

وفوق هذا طابق آخر . الغرفة الأولى على اليمين تدعى غرفة المحفوظات ، يجلس فيها كاتب يدون دواماً ما يحصل فى الماضى ، وبجوارها غرفة المكتبة أو الفكر ، لكن الكتب فى هذه الغرفة هى كتب شكلية فقط ، من الخارج تحمل شكل الكتب أما من الداخل فإنك لا تجد إلا صحائف بيضاء أو روايات خليعة . بعد ذلك توجد غرفة الخيال ، وفيها يوجد فنان يزين الجدران دائماً بروائع فنه، لكنه حالما ينتهى من رسم أى صورة يزيلها ويرسم غيرها . بعد ذلك توجد غرفة الأصدقاء والمحبين تحيط بها صور رجال ونساء وأطفال صغار . بعد هذه توجد غرفة النقود حيث توجد آلة لإخراج الأموال نهاراً وليلاً .

وأود أن أتحدث عن غرف الطابق الثالث ، التى لا تستعمل كثيراً . فالغرفة الوسطى مزخرفة جداً بالحرير والذهب ، بها عرش أخشى أن يكون فى بيوت كثيرة ، قد غطاه التراب والأقذار . والواقع أن الغرفة كلها تنطق بالإهمال ومليئة بالتراب والعنكبوت. على أحد جوانب هذه الغرفة توجد صالة الرأى ، حيث تتخذ

فيها قرارات عظيمة . وعلى جانب آخر توجد صالة الضمير محاطة بالمرايا ، وعن طريقها يستطيع المرء أن يرى شكله من أية زاوية ومن أى جانب . وفى طرف بعيد توجد غرفة يقال لها غرفة الرجاء ، تطل - عبر نهر - على مدينة بعيدة يظلـلها السحاب . وكأن هذه الغرفة مرصد . وعلى الجانب الآخر مكان صغير معد للعبادة .

ويقال إن هذا البيت كان قد بناه ملك لإقامته ، ولا تزال الأحرف الأولى من اسمه باقية . لـكن رئيس وزرائه ، أو أحد أتباعه ، اختلف معه ، وتمرد عليه ، وانتزع منه هذا القصر ، وتملـكه .

لا حاجة إلى القول إننى قصدت بهذه الشرح أن أبين بأن هذا البيت يرمز لحياتك بثلاث طبقات طبيعتك . فالطابق السفلى هو الجسد ، والطابق المتوسط هو العقل ، والطابق العلوى هو الروح . الجسد يلمس العالم ، وبالعقل أو النفس أنت تفكر وتعقد العزم ، والروح فى كثير من الحالات مهملة إهمالاً تاماً وخاوية . هنالك العرش الذى قُصد به أن يكون لله ، والرأى حيث يجب

أن تُتخذ القرارات المتفقة مع إرادة الله ، والضمير حيث يجب أن ترى نفسك وتعرفها ، ومكان العبادة حيث يجب أن تعبد . لـكن هذا البيت ، بيت طبيعتك ، الذى بُنى مسكناً لإلهـك الأزلى الأبدى ، لـكى يسكن فى قلبك ، كم من المرات اغتصب منه وسلم لعدوه الشيطان القوى الذى وصفه الرب فى هذه الآيات بأنه هو الرجل القوى المسلح ؟ .

نعم ، إن الشيطان أقوى من آدم فى براءته ، وأقوى من موسى فى وداعته وحلمه ، ومن أيوب فى صبره ، ومن بطرس فى شجاعته وغيرته . إن أقوى وأقدس بنى البشر قد سقطوا أمام الشيطان القوى .

أريد أن أصور لـكم هذا القصر فى ثلاثة نواحى : (أولاً) عندما يكون فى سلام مع مالـكه المغتصب . (ثانياً) عندما يخرج منه وقتياً ويتركه ، لـكن المالك الحقيقى لا يعود إليه . (ثالثاً) نصرة المالك الحقيقى عندما يعود ويمنع عنه كل متطفل .

أولاً : فى سلام أو أمان

أريد أن أحدثكم الآن عن الدور الأول حينما يحفظ الرجل

القوى المسلح قصره ، « وتكون أمتعته فى أمان » . فالقصر فى سلام . ويبدو كأن أشجار الورد قد تسلقت وغطت الجدران بأوراقها الجميلة ، وصار كل ما حول القصر فى راحة وسلام ، وبدا القصر كأنه فى راحة كاملة .

لربما يعترض البعض حينما أتحدث إليهم عن هذه الأمور المتصلة بالله وبالأبدية ويسمعون ندائى للتوبة والاتكال على المسيح ونسمعهم يقولون : « لماذا يحدثنا عن هذه الأمور ؟ نحن سعداء كالعصافير ولا ينازعنا أى خوف . لماذا لا تتركنا وسط سحر تنغمات هذه الحياة التى تتمتع بها قلوبنا ونفوسنا ؟ » .

لماذا ؟ لأن روح الطمأنينة هذا هو أكبر مخادع فى حياتك .

هنالك نوعان من السلام . سلام الرب يسوع إذ كان نائماً فى السفينة التى تلاطمها الأمواج وتهددها بالخطر ، وسلام يونان النائم فى السفينة التى تلاطمها الأمواج وتهددها بالخطر أيضاً . هنالك سلام بطرس وهو نائم بين عسكريين ليلة محاكمته ، وهنالك نوم شاول إذ وقف فوقه أبيشاى شاهراً عليه رمحه . هل سلامك أيها العزيز هو سلام الناس ، سلام الموت ، سلام

الهلاك ، سلام الحرس النائمين فى نوبة حراستهم بينما العدو يقترب ؟ هل سلامك هو سلام الأم وابنها النائمين فى بيتهما بينما النيران تشتعل فى البيوت المجاورة وتكاد تلتهم بيتهما ؟

« تكون أمتعته فى أمان » . أمتعته . إن إبليس قد يقول عنك : هذا الإنسان ملك لى ، وإننى أمتلكه . سوف أجره إلى المكان المعد لإبليس وملائكته . إنه يسهر على القصر ويحفظه نهاراً وليلاً بعناية لا تكل . إنه يتشبث بك ، وأنت فى سلام وأمان ، ونفسك مستريحة مطمئنة لأن الحالة سيئة . هذه أسوأ علامة على استفحال المرض .

قد تمرض ابنتى فأستدعى الطبيب ، وإذ يفحصها أسأله :

ـ كيف الحال يا دكتور ؟

ـ الحال سيئة جداً

ـ هل هنالك أى أمل فى الشفاء ؟

ـ نعم ، يوجد أمل واحد هو أن تستمر فى التألم هكذا . أما إذا توقف الألم فاتصل بى تليفونياً وعندئذ أجىء فى الحال ، لأن توقف الألم هو أسوأ علامة .

وبعد ساعة قد تأتى زوجتى وتقول : قد زال الخطر ، فأسألها : وكيف تعرفين ذلك ؟

ـ منذ عشر دقائق توقف الألم ، وابنتنا الآن مستريحة .

ـ يا إلهى ، هذه أسوأ علامة . إن عدم الشعور بالألم هو أسوأ علامة .

أيها الحبيب ، إن أسوأ شىء من جهتك هو أن تكف عن التألم . إن كان الضمير ينخسك، إن كنت تشعر فى بعض الأحيان بعدم الراحة ، إن كنت تستيقظ فى الليل وترى أنك هالك، إن كنت تفزع من الخطية ومن كرسى دينونة الله ، عندئذ يكون لك رجاء . أما إن كنت قد فقدت الإحساس ، لأن الله قد تركك لنفسك ، فأنت أشد الناس بؤساً وشقاء .

إن الرجل المسلح يحفظ قصره . عندما يتحرك الطفل منزعجاً بسبب نبح الكلاب فإن الرجل القوى المسلح يجلس عند قدميه ويحرك مهده . عندما تتحرك النفس منزعجة وتقول : أخشى أن أهلك ، فإن الرجل القوى المسلح يقول : اهجع واسكت ولا تكن كثير الانزعاج . ليس فى الكتاب المقدس أى صدق . لا

توجد سماء لتطلبها ولا جهنم لتخاف منها . فكر فى أموالك وفى كل ما يقع تحت حسك ، ولا تبال بهذه الأشياء المعنوية. هذه هى التعويذة التى بها يخدر الرجل القوى النفس لكى تهجع وتسكت، وبالرغم من هذا فإن النفس فى بعض الأحيان تستيقظ وتقول : لا أشعر بشىء من الراحة قط . ألا يوجد إله . ألا توجد أبدية . إننى غير مستعد لها ؟

لكن الرجل القوى يعود فيقول : اسكت ،اسكت ، اذهب إلى دور التمثيل، اقض حياتك فى الملذات ،واترك عنك تلك الأفكار.

هل أتحدث الآن لرجال ونساء فى أمان وسلام ، لا لأنهم قد تبرروا ، ولا لأنهم تطهروا بدم المسيح ، بل لأن ضميرهم قد انسحق تحت أقدام الشيطان حتى أصبحوا عديمى الإحساس ؟ .

ثانياً : الرجل القوى يخرج

أما الصورة الثانية فهى خطيرة . يقول الرب إن الرجل القوى فى بعض الأحيان يخرج . لاحظ بأنه لا يُجبر على الخروج بل يخرج من تلقاء ذاته . إنه يخرج لكن المسيح لا يدخل .

ربما قابلت أشخاصاً انصلحت حياتهم قليلاً لكنهم لم

يتجددوا . لقد طوّح الشيطان بالمرء بعيداً بحيث يخشى لئلا يستيقظ . والشيطان يقول: « إن لم أتخذ الحيطة اللازمة فقد أخسر هذا الإنسان . لهذا فسأتركه قليلاً وبعد ذلك أجيء وأكون أكثر اطمئناناً » .

قد يقول المرء إنه سيبدأ حياة جديدة ، فيترك تصرفاته الوضيعة ، ومعاملته القاسية لأفراد أسرته ، عندئذ تشكر الزوجة الله لأن المعاملة القاسية قد أبطلت ، ولا يعود يذهب إلى أماكن اللهو ، وفى بعض الأحيان يذهب إلى الكنيسة . وإذا ما أقيمت بالكنيسة نهضة روحية يبدى اهتماماً بحضور الاجتماعات ، ويظهر إعجابه بالعظات وتبدو عليه كل العلامات التى تنم عن التقوى ، يذهب إلى الكنيسة بانتظام ، ويقدم جزءاً من أمواله لله ، وكما يقول الرب يصبح بيته خالياً مكنوساً مزيناً . لقد خرجت من حياته كل الأرواح الشريرة . لقد تعهد كتابة بأن يعيش حياة التكريس لله واشترى كتاباً مقدساً كبير الحجم ، وبدأ يختلط عن قرب بخادم الله ، وأصبح كل شيء يدل على أن هذا الرجل قد بدأ حياة جديدة .

لكن لاحظ بأن العلاج الوحيد الذى يمكننا أن نظهر به فى الأبدية هو الذى نتقبله من يد ابن الله . كثيرون يحاولون أن يخيطوا بأيديهم ثوب الصلاح الذى يرجون أن يقفوا به أمام كرسى الدينونة . ولكن الثوب الوحيد الذى يمكننا الظهور به أمام الله هو الذى نسجه الرب يسوع المسيح على الصليب ، والذى يعطيه هو . إن كنت لم تحصل من المسيح على ثوب البر فكل ما تصنعه لنفسك سوف يتبين أنه خرق بالية نجسة عندما يأتى للدينـــونة .

إننى أتخيل بأننى أرى ذلك البيت أمامى الآن . من الظاهر على الأقل يبدو هذا الإنسان طاهراً ، والناس يقولون بثقة إن ذلك الإنسان قد تغير إلى أحسن ، هذا صحيح بحسب الظاهر ، لكن المسيح لم يحل فى قلبه ، ولذلك فإن الشيطان سوف يعود . إنه يتطلع من نافذة البيت فيتساءل : هل المسيح هنا ؟ لكنه لا يظفر بأن جواب ، فيدور خلف البيت إلى الباب الخلفى [لأن الشيطان يفزع جداً من المسيح] ويسأل : هل المسيح هنا ؟ فيجد البيت خالياً ، والقوة الوحيدة التى لهذا الإنسان هى عزيمته ،

لـكن الشيطان يعرف أنه يستطيع أن يحطمها بسهولة . فيدخل ، ربما بعد شهر ، أو سبعة شهور ، أو سبع سنوات . ثم يدعو سبعة شياطين أشر منه فيدخلون وتصير أواخر ذلك الإنسان أشر من أوائله .

وهنا أقف مثقلاً بأثقال النفوس . فى كنائسنا نحن نقبل أشخاصاً بسهولة وباستخفاف ، إنى حزين بأن أقول إننا كثيراً ما قبلنا فى عضوية الـكنيسة أشخاصاً لهم المظهر الحسن ، ونحن لا ندقق لنتأكد إن كانوا حقاً مخلصين . لقد أصبح البعض أعضاء فى الـكنيسة ، بل خداماً فيها ، لـكنهم لا يدركون معنى الخلاص ، ولا يسكن المسيح فى قلوبهم .

أود أن أوجه الـكلام لـكل واحد الآن وأقول :

هل نلت الخلاص ؟ هل قبلت يسوع ليسكن فى قلبك ، هل تعتقد بأن المسيح أتم خلاصك على الصليب ، هل تدرك بأن برك الذاتى ليس إلا خرقاً بالية قذرة ، وأن يسوع هو الوحيد الذى يقدر أن يجعل نفسك فى أمان هنا وفى العالم الآخر ، هل يسوع على العرش ، يسوع فى القلب ، يسوع فى الحياة ـ يسوع المخلص ، الملك ، والصديق الألزق من الأخ ؟

إن لم تكن تعرف هذا فأتوسل إليك بأن لا تنام الليلة إلا بعد أن تبنى بيتك على الصخر الذى يدوم إلى الأبد .

قد تتساءل : وكيف يستقيم معى الحال ؟ كيف تتجدد حياتى ؟ إننى من كل قلبى أعطف عليك إذ تسأل هذه الأسئلة . كانت أمى تقية ، وأذكر أننى كنت أصلى وأنا على ركبتيها ، وذلك منذ حداثتى . ومن جهتى شخصياً أعتقد أن تجديد حياتى لم يتم فجأة فى يوم وليلة أو فى ساعة معينة ، عندما كان سنى حوالى ١٤ سنة جاء إلى كنيستنا خادم وتحدث عن ضرورة تجديد الحياة ، فاضطربت لأننى لم أكن أستطيع أن أشير إلى الساعة التى تجـــددت فيها .

بعد ذلك ذهبت لأسمع مستر سبرجن ، فسمعته يقول إن المرء قد لا يعرف اليوم الذى تجدد فيه ، لـكنه يثق أنه يحيا حياة مسيحية حقة ، فاستراح ضميرى جداً لأننى لم أكن أعرف اليوم الذى تجددت فيه ، لكننى كنت واثقاً أننى أحيا حياة تُرضى الله .

ليس من الضرورى أن يكون هنالك تغيير مفاجىء فى حياتك ، لـكن من الضرورى أن تؤمن بالرب يسوع المسيح .

إن كنت تتطلع الآن إلى يسوع الذى مات لأجلك ، إن كنت تختار بأن تؤمن ، إن كنت تسلم إليه أمر خلاص نفسك ، فإن هذا هو الإيمان الذى يخلص . إن كان لك هذا الإيمان فليس أمراً ذا بال إن شعرت بأى تغيير مفاجىء أو لم تشعر ، لكن ثق بأنك قد نلت الخلاص .

ثالثاً : الرجل القوى يطرح خارجاً

أريدك أن تنظر إلى هذا القصر مرة ثالثة فى وضع جديد . إننى أسمع صوت الملائكة الحارسين . هنالك من هو أقوى من الرجل القوى ، وهو قادم فى الطريق . إنه أقوى لأنه التقى بالشيطان فى البرية وانتصر عليه . إنه أقوى لأنه فى كل أيام حياته على الأرض كان يُخرج الشياطين . إنه أقوى لأنه إذ كان على الصليب ، وكان يُظن أنه فى حالة الضعف ، انتشل اللص من أفواه جهنم ونقله إلى الفردوس . إنه أقوى لأنه صعد إلى السماء ظافراً على قوات الجحيم .

يسوع آت . إنه يأتى إليك الليلة ، ولاحظ أنه يأتى إلى الباب ويدعوك لتسليم حياتك . « ها أنذا واقف على الباب

وأقرع . إن سمع أحد صوتى وفتح الباب أدخل إليه » (رؤ ٣ : ٢٠) . إن كان الشيطان فى الداخل فالمسيح واقف على الباب فى الخارج . وأنت تستطيع أن تحدد مصيرك الآن . الشيطان متشبث بك ، وهو لم يكن من قبل متشبثاً بك بمثل هذه القوة كما هو الآن .

لكن الشيطان لا يقدر أن يتشبث بك بصفة دائمة أمام الرب يسوع . إننى أبشرك بأنك تستطيع أن تتحرر . سوف تكف شفتاك عن الحلف . وسوف تكف تلك الأفكار الدنسة عن أن تعشش فى قلبك ، لن تذهب مرة أخرى إلى ذلك البيت السيء السمعة . سوف تخلص خلاصاً كاملاً من تلك الشهوات الدنسة التى كانت تستعبدك ، كل ذلك سوف يوضع له حد . إننى أرجو أن أكون متكلماً بروح النبوة . إننى أسمع وقع أقدام يسوع آتياً ليحررك ويطهر نفسك ، وهكذا تبغض تلك الأشياء التى تظن الآن أنك لا تقدر أن تعيش بدونها ، وتحب تلك الأشياء التى لا تبالى بها الآن . فى تلك اللحظة يقدر الله أن ينقلك من مملكة الظلمة إلى ملكوت محبة الله .

إن يسوع المسيح فى انتظارك . لكن اصغ إليه ، فهو يقول : « من ليس معى فهو علىّ » . إن كان الشيطان محتلاً قلبك فيسوع واقف على باب قلبك ينتظر . يسوع يريد منك إشارة أو علامة على أنك تريده . هذا هو كل ما هو مطلوب منك . هو سيحارب عنك ، وسيخلصك ، لكنك يجب أن تبرهن على أنك تريده .

سمعت مرة حكاية غريبة عن أحد أفراد الأسرة التى كنت أقيم بينها ، كانت السيدة فى مجرد حالة إغماء ، لكن أهلها ظنوا أنها ماتت ، ولذلك اتخذوا كل الترتيبات لدفنها . غير أن أحد الواقفين بجوارها رآها تحرك جفن عينها ، وللحال نقلوها من النعش ، ووضعوها على سريرها ، وأنعشوها فعادت فى الحال إلى صوابها ، وعاشت حوالى عشر سنوات حياة قوية . لقد نجت بسبب تحرك جفن عينها الذى دل على أنها لم تمت .

أيها الحبيب ، إن يسوع ينتظر ، والشيطان ينتظر . فى هذه الساعة يمكنك أن تختار . ويسوع يطلب منك فقط أن لا تقاوم أو ترفض ، بل أن تختار . وحتى إن كان اختيارك الليلة هزيلاً كتحرك جفن العين ، لكن دع يسوع يراه . تطلع إليه . هذا كل

ما يطلبه ، وعندئذ يأتى إلى قلبك

عندما يأتى المسيح ، وهو مستعد أن يأتى الآن ، فإنه يطرد أمامه الشهوة الفاسدة ، والرغبات الدنسة . سوف يحررك من محبة الخمر ومحبة الخطية . هو مستعد أن يطهر قلبك ويحفظه . لا تحاول أن تطهره أنت من أجله . إنه قد وُلد فى مذود ، وهو مستعد أن يحول حتى المذود إلى قصر .

كان أوغسطينوس يتقاذفه تيار شديد بين امرأتين ، الأولى أمه « مونيكا » المرأة التقية ، والثانية امرأة شريرة أغوته وكادت تؤدى به إلى الهلاك . كانا حياته تتذبذب بين هاتين المرأتين كما يتذبذب البعض بين المسيح والشيطان . فى بعض الأحيان كانت مونيكا تجذبه إلى الحياة السماوية ، وفى أحيان أخرى كانت المرأة الشريرة تنزل به إلى الحضيض . كان الصراع طويلاً وعنيفاً ، وكان أغسطينوس كريشة فى مهب الريح .

وبعد ظهر أحد الأيام ـ كما يروى فى اعترافاته الخالدة ـ كان فى متنزه هو وصديقه ، فسمع صوت أحد الأولاد يناديه من خلف سور المتنزه قائلاً : خذ واقرأ . فأدرك أن هذا يعنى أن

يأخذ العهد الجديد الذى كانت أمه تركته على مقعد المتنزه . فأخذه وقرأ فى الأصحاح الثالث عشر من رسالة رومية عن خلع أعمال الظلمة ولبس أعمال النور . وللحال قام ، وحزم رأيه ، حاسباً حساب النفقة ، وأخبر صديقه ، وذهب وأخبر أمه ففرحت أمه فرحاً عظيماً .

وفى اليوم التالى مر فى الشارع الرئيسى فى قرطاجنة ، وبينما هو سائر قابل المرأة الشريرة التى سبق أن أغوته فى الشر فنـــادته قائلة :

ـ أوغسطينوس ، إننى أنا .

أما هو فقال : لـكننى لست أنا . وتركها ، ونجا منها .

لقد نال الخلاص ، وصار القديس أوغسطينوس كما تعلمون .

لعل بعضاً من أمثال أوغسطينوس يقرأون هذه الـكلمات لأشخاص يعرفون الصالح لكنهم يعملون الشر ، هؤلاء يتأرجحون بين الشيطان والمسيح . بين الشيطان الذى يريد لهم الهلاك ، والمسيح الذى يريد لهم الحياة . هذه هى الفرصة المقدمة لك لتختار بين الحيـــاة والموت . إن تركت الخطية وسلمت نفسك له صرت

كأوغسطينوس ، وصرت أباً لجمهور كثير من أولاد الله . هنالك مصير جميل ينتظرك . فعليك أن تدعو المسيح للدخول وعندئذ يأتى ويحفظك .

إن الشيطان كثيراً ما أراد أن يعود إلى هذا البيت الذى هو قلبى . وأنا أخشاه . لكن عندما يأتى ويحلف أن يقتحمنى عنوة فإننى أهرع إلى قدمى سلم الصعود وأصرخ قائلاً :

« أيها المسيح ، أيها المسيح ، أنت أقوى من الرجل القوى ، أسرع إلىّ فإن الشيطان يريد أن يهجم علىّ » . وعندئذ ينزل كالبرق ، فلا تستطيع كل قوات الجحيم أن تفتح الباب .

الفصل السابع

كوم القمامة

« ويل لمن يخاصم جابله خزف بين أخزاف الأرض، هل يقول الطين لجابله ماذا تصنع. إذ يقول عملك ليس له يدان » (إش ٤٥ : ٩)

إن كلمة « خزفة » ، أى قطعة خزف ، تلفت النظر . إننى أتخيل بستاناً جميلاً ، وفى ركن فى أحد أطرافه كوم من القمامة ، فيه يتراكم الرماد المتخلف من النار التى تدفىء بيت النبات ومتخلفات النبات المتعطن ، وكثيراً ما أُلقيت فيه أيضاً أجزاءاً من الخزف المكسور أو الصينى . وإننى أتخيل قطعة من وراء الزهور تطل برأسها من بين الرماد . هذه هى الخزفة التى لا فائدة منها . إنها لا تصلح إلا أن تُطرح فى كوم القمامة ، فهى نفاية .

والله يقول إن أولئك الإسرائيليين الذين اشتكوا وتذمروا بسبب إنقاذ الله لهم على يد كورش إنما يعرِّضون أنفسهم لخطر التطويح بهم إلى كوم القمامة .

إننى أخشى أن يكون أحدكم ملقى فوق كوم القمامة ، لأنه إذا طُوِّح بكم كنفاية فى هذا العالم فيخشى أن يطوح بكم كنفاية إلى الأبد . إننى لا أجرؤ على أن أُغلق باب الرجاء أمام أية نفس. إن كل هدف الكتاب المقدس أن يحارب هذه الفكرة. يا له من أمر مرعب أن يضلل المرء أصدقاءه ، الذين قد يقولون له يوماً ما عندما يلتقى بهم خارجين من أمام عرش الدينونة كنفاية : لماذا لم تخبرنا بأن ذلك المصير نهائى ولا تعديل فيه ؟

كوم قمامة أورشليم

« إن أعثرتك يدك فاقطعها . خير لك أن تدخل الحياة أقطع من أن تكون لك يدان وتمضى إلى جهنم إلى النار التى لا تطفأ » (مر ٩ : ٤٣) . وما هى جهنم هذه ؟ هى كلمة عبرية ، اسم لوادى هنوم . كان يوجد خارج أورشليم واد عميق يُستخدم للعبادة الوثنية ، فقرر يوشيا ، الملك الصالح ، بأن يُستخدم لإلقاء قمامة أورشليم فيه . لم تكن لهم عملية المجارى التى لنا الآن ، لكنهم استخدموا النار . وكانوا يأخذون القمامة خارج أورشليم ويلقونها فى وادى جهنم إلى النار دائمة الاشتعال ، كان وادى

جهنم هو كوم قمامة أورشليم . ويقول المسيح بأنه كما كان وادى جهنم هو كوم قمامة أورشليم هكذا يُقدِّم مكان آخر لكل المسكونة ، يُطرح فيه كنفاية كل من يرفض أن يضحى بيده أو رجله أو عينه التى تعثره . لاحظ (ع ٤٤) « حيث دودهم لا يموت والنار لا تطفأ » . هذا هو كوم القمامة الذى يعده الله .

إن الله يعطى الفرصة لكل إنسان . هو يعطيه وقتاً متسعاً ليعلن نفسه . يقول كتاب الصلاة « الله لا يبغض أى شىء خلقه » . لكن الله بعد أن يعطى الإنسان الفرصة ليحدد اختياره النهائى يضطر إلى أن ينبذ الكثيرين ويطوِّح بهم كنفاية ، لأنهم لم يحققوا الغاية التى لأجلها خُلقوا . هنالك دواماً من يُنبذون كنفاية . مقابل كل بذرة تنتج شجرة بلوط توجد مئات من البذور لا تخصب . هنالك كثيرون من المسيحيين لن يُحسبوا مستحقين للعالم العتيد ، بل يضطرون الله إلى أن ينبذهم ويطرحهم خارجاً .

ما هو المحك الأخير ؟

أى شىء يبرهن على أن الإنسان قد أصبح نفاية ؟ ما هو العامل الأخير الذى يضطر الله إلى أن يطوح بأى إنسان كما طوح

بيهوذا « ليذهب إلى مكانه » ؟ (أع ١ : ٢٥) . هل هو العقيدة ؟ هب أن إنساناً ينتمى إلى هذه الطائفة المسيحية أو تلك . هل هذا برهان على أنه سينجو من كوم القمامة ؟ لا أظن هذا لحظة واحدة . ليست آراؤنا هى التى تحدد المصير . إننى أصرح لكم بإخلاص ، يا من نشأتم فى هذه الكنيسة أو تلك إنكم إن اتكلتم على مجرد انتمائكم لأية كنيسة فإن هذا لا يخلصكم من أن تتميزوا كخزفة .

هل تكفى خطية واحدة ، تركتها العاطفة ، أن تطوِّح بالإنسان إلى كوم القمامة ؟ هنالك خطايا العاطفة وخطايا الإرادة ، أى الخطايا الإرادية التى تُرتكب عمداً . ويجب أن نميز بين هذه وتلك . لا تكفى خطية العاطفة لكى تؤدى بالإنسان إلى الأبدية المظلمة إن كان يتركها بالدموع ، حتى وإن كانت هذه الخطية تسبب بعض الأذى له أو لغيره .

هل عدم توفر الانفعالات الروحية تحدد مصيرنا ؟ هنالك أشخاص لا تتوفر فيهم هذه الانفعالات . إنهم لا يذكرون بأنهم ذرفوا دمعة واحدة . فى الوقت الذى يُظهر الآخرون أشد الانفعالات الروحية يكونون هم هادئين وساكتين ، بل قد

يحتقرون ذوى الانفعالات الزائدة . قد يكون المرء عديم الانفعالات ، ولا يقيم وزناً لمن تتوفر فيهم هذه الانفعالات . لكن هذا لا يكفى لكى يُنبذ من الله .

وماذا إذن ؟ ليست العقيدة هى التى تحدد مصير الإنسان ، ولا خطية واحدة دفعتها العواطف ، ولا الانفعالات الروحية . لكن كل شىء يتوقف على إرادة الإنسان .

إن حياتك لا تتوقف على ما تعتقد ، أو تشعر ، أو على خطية واحدة ، لكنها تتوقف على إرادتك . لا تستطيع دواماً أن تتحكم فى عواطفك لكنك تستطيع أن تتحكم فى إرادتك . وإن هلكت فلا يكون السبب راجعاً لأى نقص فى عقيدتك ، أو لأنك خال من الانفعالات الروحية ، بل لأن إرادتك تتعارض مع إرادة الله ، لأن الله يريد أمراً واحداً وأنت لا تريده . إنه يريدك أن تدعه يضع إرادته فيك . يريدك أن تكون مستعداً لقبول إرادته ، ومن أجل هذا قال يسوع : « كم مرة أردت أن أجمع أولادك كما تجمع الدجاجة فراخها تحت جناحيها ولم تريدوا » . إن كان أحد يهلك فليعلم أن ذلك لأنه قال لله لا أريد .

لماذا أنت غير مؤمن ؟ لماذا لم تقبل رحمة الله ؟ قد تقول : لى اعتراضات كثيرة على الإيمان المسيحى ، لست واثقاً أن الكتاب المقدس صحيح ، وأشك فى أنه موحى به من الله ، لقد رأيت الكثيرين ممن يترددون على الكنيسة الذين دفعونى إلى أن أقول إنهم مراؤون .

ليست هذه هى الأسباب التى تحملك على أن لا تكون مؤمناً ، لكن الله يريد منك شيئاً وأنت لا تريد أن تعطيه إياه ، هذا هو إرادتك التى هى أصل عدم إيمانك ، أى أن هنالك عادة فى حياتك قد تمسكت بها . هنالك طريقة لجمع المال لا تريد أن تكف عنها . هنالك فى حياتك ما يحارب إرادة الله منذ سنوات . إن قوة إرادتك شديدة فى مقاومتها لله ، حتى إنك إذا لم تلتفت لنفسك أصبحت نفاية ، لأن الله لا يمكنه أن يفعل لك شيئاً .

الفخارى والطين

إن الفكرة كلها فى هذه الآيات منصبة على الفخارى ، والفخارى هو بعينه فى كل مكان . إن يأخذ قطعة الطين ويجلس أمام دولابه ويحاول أن يصنع آنية للزينة أو للاستعمال العادى ،

آنية للقصر أو للمطبخ . إنه يأخذ الطين ويضعه على الدولاب ، وإذ يدور الدولاب يصوغ الوعاء الذى يريد أن يصنعه . لكنه فجأة يجد به عيباً . فيعالجه مرة ، ثم مرة أخرى . لكن العيب يأبى أن يُصلح . فيأخذ قطعة الطين ويعجنها ثانية ، لكن العيب يظل كما هو رغم أنه عالجه مرتين أو ثلاث مرات .

وماذا يصنع الفخارى ؟ إننى أسألك ماذا تصنع أنت لو كنت مكانه ؟ أنت تريد أن تصنع وعاءً ما لكن الطين لا يطاوعك . أنت تريد بحكمتك وقدرتك أن تصوغ من الطين الوعاء الذى تريده ، لكن هنالك فى الطين ما يقاومك ، وإذ تأخذ قطعة أخرى من الطين تجدها تطاوعك . وعندئذ تطرح القطعة الأولى كشىء تافه لا يصلح لشىء .

لقد دعا الله اليهود ليكونوا شعبه الخاص ، وليكونوا رسلاً للعالم لكنه كان لابد أن ينحيهم ويأخذ الأمم بدلاً عنهم . هكذا قد يكون الحال معك . فأنت تكاد تخسر الفرصة الذهبية المهيأة لاستخدامك فى أسمى الغايات المقدسة لأنك لا تريد أن تسلم ذاتك لإرادة الله ، بل تتمسك بإرادتك .

تعرفت مرة بشاب صغير ورجوت أن أخلق منه رجلاً كاملاً ، فعاش حياة تبشير بالخير . وعندما وصل إلى سن الثامنة عشر سقط . فساعدته حتى وقف على قدميه وقلت له : « يا بنى ، إن سقطتك هذه لا يعلم عنها أحد شيئاً غير الله وأنت وأنا ، سوف أعطيك فرصة أخرى » .

ثم عاد فسقط مرة أخرى ، وانتشلته . ولم أكن أعرف ماذا أصنع معه . لقد أنفقت أموالاً كثيرة فى سبيل تعليمه بالمدارس . وأخيراً قلت له : « سوف اعطيك فرصة أخرى » .

استقامت حياته بعض الوقت ، لكنه سقط مرة ثالثة . فقلت : يجب أن أتخلى عنك . لست أقول إننى لا أغفر لك . طبيعى إننى سوف أغفر . لكننى لا أطيق أن أبعثر وقتاً آجر وجهداً آخر معك .

أيها الحبيب ، هل تسلطت عليك بعض العادات الشريرة ؟ هل أنت تعيش فى الخطية ؟ هل ترفض الاعتراف بالخطية ؟ إن الله بروحه القدوس يجاهد معك . إنه يقول : « ليترك الشرير طريقه ورجل الإثم أفكاره » . مرات فى الليل ، عندما يكون البيت هادئاً ساكناً يقول لك « لا تفعل هذا الشىء الذى أبغضه » .

لكنك تجيب : « يجب أن أفعله » . ثم يعود صوت الله فيقول : « دعنى أصوغ حياتك دعنى أجعلك إنساناً صالحاً . كف عن خطيتك » . لكنك تجيب الله : « لا أقدر » ، وأنت تعنى : « لا أريد » .

والآن ، ماذا تريد أن تفعل ؟ إن السماء وجهنم منتظرتان لتعرفا قرارك النهائى . الله يريد أن يخلق منك قديساً ، والشيطان يريد أن يهلكك « ويل لمن يخاصم جابله » . ويل لمن يصوّب سهاماً للشمس . ويل لمن يرفع صوته على الله . ويل لمن يحبط مقاصد الله ويفشلها .

إننى أرى اليد المثقوبة تنزل وتستقر فوق رأسك . وأسمع صوتاً رقيقاً يتوسل . ويبدو كأن الروح القدس يريد أن يبذل آخر مجهود ليفرض عليك إرادته ، تلك الإرادة التى لا تهدف إلا لخيرك . لعلك إلى هذه اللحظة رفضت هذا المجهود ولعلك تقول إن الله قاس جداً علىّ ، وتصرفاته معى غير عادلة . لربما تتساءل تلك السيدة : لماذا سمح لها الله بأن تتزوج بذلك الزوج القاسى ؟ وذلك الرجل يتساءل : لماذا سمح له الله بأن يتزوج بتلك الزوجة الشريرة ؟ وذلك الولد يتساءل : لماذا سمح له الله بأن يولد فى تلك

العائلة التى تتعارض مع رغبته فى أن يكون مؤمناً ؟ بهذه الطريقة أو غيرها يحاجج البشر الله ويخاصمونه . لكن اخضع ، اخضع . أقول لك أن تنتظر حتى تشعر بأنك خاضع مستسلم . لا يمكنك أن تبدأ بالشعور . لكننى أقول اخضع ، ارفع ذراعيك إلى فوق معلناً التسليم وقل : « إلهى ، تصرف كما تشاء . تمم إرادتك . وسوف تجدنى مطيعاً » .

فى نهاية الكتاب المقدس يقرر الرائى أن الأربعة والعشرين شيخاً والأربعة الحيوانات خرّوا وسجدوا لله الجالس على العرش قائلين « آمين . هللويا » (رؤ ١٩ : ٤) . قد تقول أن هذا يحدث فى السماء . هنالك أشياء فى حياتنا لا نستطيع أن نقول بإزائها « هللويا » الآن ، لكننا نستطيع أن نقول آمين ، ونستمر فى ترديدها . فى بعض الأحيان نبدأ بترديد « هللويا » ، لكن هذا نادر . آه ، إننا سوف نرنمها يوماً ما قائلين « آمين . هللويا » ، وفى نفس الوقت يجب أن نتعلم بأن نحيا دواماً وفى كل مكان حياة الطاعة لله . وعندئذ ، عوضاً عن أن نكون قطع خزف مهشمة نصبح آنية نافعة لخدمة السيد متأهبين لكل عمل صالح .

الروح القدس فى هذا العهد

لقد خلق الله العالم فى عصور مختلفة . هنالك عصر الخليقة ، والعصر الذى انتهى بالطوفان ، وعصر إسرائيل ، ونحن الآن نعيش فى العصر الذى بدأ يوم الخمسين وسوف ينتهى بالمجىء الثانى لربنا المبارك .

وكما أن يسوع له المجد وُلد فى يوم معين ، هو الذى نحتفل بذكراه يوم عيد الميلاد ، وصارت له بالعالم علاقة جديدة لا تنفصم ، هكذا فى يوم الخمسين صارت للروح القدس علاقة جديدة بالبشر . وكما أننا نحدد تاريخ العالم من وقت مجىء ربنا ، فنقول سنة ٢٠٠٠ قبل الميلاد أو سنة ٦٠٠ بعد الميلاد ، هكذا ينبغى أن نحدد تاريخ الكنيسة من مجىء الروح القدس .

والواقع أن هنالك شبهاً كبيراً سوف تراه فى لحظة . فربنا كان فى العالم قبل ميلاده ، لكنه عند ميلاده اتخذ جسداً بشرياً . والروح القدس كان فى العالم قبل يوم الخمسين ، لكنه فى يوم

الخمسين اتخذ هيكلاً ، وهو الآن ساكن فى هذا الهيكل المكوّن من كل المؤمنين فى كل العصور وكل الأقطار .

وكما كان يسوع موجوداً فى العالم حرفياً ، هكذا أنا أعتقد بأن الروح القدس موجود حرفياً فى كنيسة المسيح ، وفى كل اجتماع يُعقد فى الكنيسة . ولست أعتقد بأنك تستطيع أن تحصر روح الله فى مكان معين . ولست أعتقد بأنك تستطيع أن تقول بأنه موجود فى هذا المكان أكثر مما هو موجود فى ذاك المكان. لكننى أعتقد بأنه موجود فى الكنيسة اليوم كما كان موجوداً فى العلية يوم الخمسين ، لكن عيوننا فقط قد أُمسكت ، أو إننا فقدنا قوة رؤيته .

لقد علمنا ربنا صراحة فى (يو ١٤ : ٢٠) قائلاً : « فى ذلك اليوم (أى يوم الخمسين) تعلمون أنى أنا فى أبى وأنتم فىّ وأنا فيكم » . هذه الأشياء الثلاثة التى نعرفها هى : أن يسوع هو الله ، وأن موقفنا هو فيه ، وأن حياته إذا ما بدأت فينا الآن تجعلنا مثمرين . فى العصر الحاضر الروح القدس يعلن يسوع ، ويسوع يعلن الآب . لقد صرح يسوع بأن يوم الخمسين هو بداية عصر جديد.

هنالك ألوف من المؤمنين يعيشون فى عصر الروح القدس كأن حادث يوم الخمسين لم يحصل قط . إنهم يعيشون كما كان يعيش التلاميذ قبل أن يمتلئوا بالروح القدس . إنهم تاريخياً يعيشون فى هذا العصر ، أى بعد حلول الروح القدس ، وعملياً يعيشون فى عصر ما قبل حلول الروح القدس .

هذا العصر المزدهر الذى نعيش فيه ، هو بصفة خاصة عصر الروح القدس ، وهو أيضاً عصر تكوين كنيسة المسيح . هو العصر الذى فيه يقدم الروح القدس والكنيسة شهادة مزدوجة عن المسيح . والروح القدس يدفع الكنيسة إلى أن تخرج للكرازة .

ولست أظن أننى فى حاجة لإيضاح أن روح الله كان يعمل فى كل حقبة العهد القديم أيضاً ، ولقد كانت هنالك ثلاث نواحى يعمل فيها : عمله فى الخليقة (تك ١ : ٣)، وعمله فى إرشاد رجال العهد القديم فيما تكلموا وفيما كتبوا (٢ بط ١ : ٢١)، وعمله فى خلق نفوس مختارة ، كما حدث إذ « لبس روح الرب جدعون » (قض ٦ : ٣٦) ، وتحرك فيه وعين طريقه لإتمام مقاصده .

سألت مرة شخصاً عما إذا كان العالم فيه قدر من الكهربائية

اليوم أكثر مما كان فى العصور السحيقة ، فقال : لا شك فى أن قدر الكهربائية اليوم أكثر . عندئذ قلت له إن القدر الموجود اليوم هو كما كان منذ القديم . والفرق الوحيد هو أن بعض الأشخاص اكتشفوا النواميس التى بها يمكن الانتفاع بالكهرباء.

إن هذا تشبيه مضبوط لما فعله الرب يسوع المسيح من أجلنا . لقد كان الروح القدس فى العالم قبل أن يولد المسيح ، لكن المسيح فى حياته على الأرض أعلن النواميس التى بها يعمل الروح القدس حتى يستطيع كل واحد فى الكنيسة الآن أن ينتفع بقوة الروح القدس ، التى كانت قديماً يُحتفظ بها لإشعياء ، أو دانيال ، أو أمثالهما من رجال الله البارزين . هذا ما تنبأ به يوئيل إذ قال إن الله فى الأيام الأخيرة يسكب من روحه على كل بشر (أع٢:١٦).

بينما كنت فى سويسرا ، خرجت فى شرفة الفندق فى الساعة الرابعة صباحاً ، وتطلعت فى سلسلة الجبال القائمة أمامى . فى بداية الأمر كان الجو مظلماً ورطباً وبارداً ، لكن بعد قليل بدا لى كأن ملاك الله قد بدأ يتنقل من قمة جبل إلى قمة أخرى يشعل ناراً فى طريقه . كان الضباب لا يزال يغطى الوادى ، وبعد أن انتظرت

مدة أطول أشرقت الشمس فاختفى الضباب . وفى وقت الظهيرة سكبت الشمس أشعتها فى كل أخدود فى الوادى .

هكذا أعتقد بأن الروح القدس قبل يوم الخمسين كان يشع نوره فقط على قمم الجبال ، أى على أفراد قلائل كموسى وشمشون وداود وإرميا . أما فى يوم الخمسين فإن الروح القدس أصبح يُعطى لكل المؤمنين : « ويكون فى الأيام الأخيرة أنى أسكب من روحى على كل بشر فيتنبأ بنوكم وبناتكم ويرى شبابكم رؤى ويحلم شيوخكم أحلاماً وعلى عبيدى أيضاً وإمائى أسكب من روحى فى تلك الأيام » (أع ٢ : ١٧ و ١٨) .

يجب أن يقبل البشر هذه القوة

يا لحماقة ذلك الإنسان الذى يقول إنه لا يريد الانتفاع بالكهرباء ويستمر فى عادات الأجيال السابقة . ألا تظن ، أيها الحبيب ، أنك إن أردت أن تعيش بدون تلك القوة التى هى فى متناول يدك ، والتى قصد بها الله أن تعيش حياة أفضل ـ ألا تظن أنك ترتكب نفس الخطأ ؟

قد تقول إنك تريد أن تتمثل بالمسيح وتقتفى خطواته ، ومع ذلك فإنك ترفض الانتفاع بالقوة التى أعدها . قد تقول إنك كنت تظن أن قوة الروح تأتى لفترة قصيرة بحيث يستطيع المرء أن يثابر على الصلاة طول الليل ، أو يستطيع أن ينال أى اختبار روحى آخر . قد تظن بأنك يجب أن تترك الامتلاء بالروح القدس لأشخاص يختلف تكوينهم عن تكوينك . هذا ما كنت أعتقده يوماً ما ، إلى أن وجدت هذه العبارة فى (رو ٨ : ٢) « ناموس روح الحياة » .

نحن نعرف أن إديسون لم يبذل كل جهده نهاراً وليلاً لدرجة الضنى والكلال لكى يصل إلى اختراعه لكنه فقط أطاع نواميس معينة . ونحن يجب أن نعرف بأن ناموس روح الحياة مقدم لكل إنسان يريد أن يطيع . إن كان إنساناً طاهراً ، نقى القلب ، يحيا قريباً من الله ، فإنه يستطيع دواماً أن ينتظر عمل روح الله . أنت فى بيتك تضغط على زر فتمتلىء كل الغرفة بالنور . وهكذا تستطيع أن تمتلىء من نور روح الحياة إن أطعت ناموسه .

الامتلاء بالروح القدس

قبل أن يغادر الرب العالم قال : « وأنا أطلب من الآب ليعطيكم معزياً آخر » (يو ١٤ : ١٦) . وبعد صعوده إلى السماء أعطى هذا المعزى لكنيسته لكى يبقى معها بصفة دائمة فى هذا العصر ، عصر الروح القدس . وهو ينتظر لكى يعطى كل واحد من أعضاء الكنيسة نعمة الامتلاء من الروح القدس ، على شرط أن يطلب ذلك بالإيمان . وكما أنك نلت الغفران من يد المسيح بموته ، هكذا اقبل نعمة الامتلاء من يد المسيح الحى .

لا تظن أن هـــذه النعمة المباركة هى لأشخاص مختارين ولخدمات خاصة . إننى أريدك أن تفهم بأن بركة الامتلاء من الروح القدس مقدمة لكل مؤمن ، لكى تجعلنا كما يريد أن نكون . إن سبب فشل حياتنا الذى نشكو منه ناشىء من أننا نريد الوصول إلى المثل الأعلى بدون القوة التى تجعل ذلك المثل الأعلى ممكناً .

إن إرادة الله المؤمنين هى أن يمتلئوا من الروح القدس ، رجالاً ونساءً . كما تمتلىء الشجرة من العصارة التى تصل إلى أبعد

الأغصان هكذا ينبغى أن نمتلىء نحن من الروح القدس إلى أن تصبح نعمة الإثمار طبيعية لنا كما إن الزهـــور والثمار طبيعية للشجرة . لهذا فإن فى إمكاننا أن نمتلىء من الروح القدس كما تمتلىء الشجرة من العصـــارة ، وكما يمتلىء الجسم بالحياة ، وكما يمتلىء العقل بالفكر ، وكما يمتلىء القلب بالمحبة ، وكما يمتلىء الحديد البارد الأسود بوهج نار الفرن .

عندما نحيا بقوة الروح القدس فإن خطايانا السابقة لا يبقى لها نصيب فينا لأننا نكون قد امتلأنا بما هو أفضل . هذه هى الفكرة الحقيقية لأن نكون قديسين .

يقول البعض إنك يجب أن تكف عن هذا وذاك ، لكن دع محبة الله تدخـــل إلى قلبك ، ودع طهارة المسيح تملأك ، وعندئذ يغمر بكيفية طبيعية كل فكر شرير ، وكل كلمة بطالة مما كان يفسد حياتك . وكما إن العصارة فى الشجرة تطرد الأوراق الميتة فى الربيع ، هكذا إن امتلأنا بروح الله فإن العوامل التى كانت تفسد كياننا تطرد تلقائياً . ينبغى أن يطلب الملء كل مؤمن لا سيما كل من يتجدد حديثاً .

أذكر أنني قرأت قصة شاب يُدعى يوسف كان يقيم بإحدى مدن أمريكا . كان الشاب شرس الطباع ، حتى أمر خدام الكنائس بمنعه من دخول كنائسهم يوم الأحد . وذات يوم نُصبت خيمة بجوار إحدى الكنائس وأقيمت فيها اجتماعات انتعاشية . فى اليوم الثالث اقتنع يوسف بخطيته ، وتقدم إلى الصفوف الأمامية وجثا على ركبتيه معلناً توبته . كانت سيدة متقدمة فى السن تراقبه ، فتقدمت هى أيضاً إلى الصفوف الأمامية وجثت بجواره . وبعد أن قضى يوسف بضع ساعات فى صلاة حارة امتلأ بنور الله . طلبت منه السيدة أن يمر على منزلها عند عودته إلى بيته لكى تعطيه نبذة عنوانها « نصيحة للمتجددين حديثاً » ، لكنها - عن طريق الخطأ - أعطته نبذة عن الامتلاء بالروح القدس . فقرأها يوسف ، وأدرك أن حالة قلبه التى بها نال الغفران هى نفس الحالة التى بها يمكنه وقتئذ أن يطلب كل ما يمنحه المسيح بعد ذلك . وللحال فرح قلبه ، إذ أدرك حقيقة قيامة الرب من بين الأموات ، لأن النفس عندما تمتلىء بالروح القدس تزداد فيها معرفة المسيح الذى يعلنه لها الروح القدس .

أيها الحبيب ، إن كنت إلى الآن لم تنل نعمة الخلاص ولم تتجدد حياتك فإننى باسم يسوع أطلب إليك أن تتطلع إليه . لا تتطلع إلى الصليب بقدر ما تتطلع إلى المصلوب . لا تتطلع إلى القبر بل إلى من جاز القبر وقام . لا تتطلع إلى الكتاب المقدس بقدر ما تتطلع إلى من يشهد عنه الكتاب المقدس فى اللحظة التى تفعل فيها هذا بالإيمان تنل نعمة الخلاص . وبعد أن تنال الخلاص قد تحصل على الامتلاء بالروح القدس فى لحظة ، أو قد تمتلىء تدريجياً . وإننى أود أن أقدم خمسة اختبارات بها يمكنك أن تعرف إن كنت قد نلت هذا الملء :

(١) المسيح الحىّ : هل المسيح حقيقة حية لك ؟ (يو ١٦ : ١٣ و ١٤) . كيف تتطلع إلى يسوع المسيح ؟ هنالك مسيحيون كثيرون يتطلعون إلى المسيح على الصليب من عبر تسعة عشر قرناً ، لكنهم لا يعيشون معه فى شركة حية يوماً فيوماً . عندما يمتلىء المؤمن بالروح القدس فإنه لا يتحدث عن الروح القدس بقدر ما يتحدث عن المسيح ، لأن غاية الروح القدس هى أن يشهد للمسيح .

أيها التاجر فى تجارتك ، أيتها الأم فى بيتك ، أيها الطالب فى دراستك ، هل قلت لنفسك « يسوع هنا ، يسوع حىّ » ؟

إن كنت لم تحصل بعد على هذا الاختبار فإنك لم تمتلىء بعد بالروح القدس .

(٢) التأكد : هل أنت متأكد من أنك ابن لله ؟ هنالك أشخاص فى كنائسنا لا يستطيعون أن يقولوا مع بولس الرسول « إننى عالم بمن آمنت » (٢ تى ١ : ١٢)، إذ لا يصدقون كلمة الله فإنهم لا يكرمون الله . إن كنت قد امتلأت بالروح القدس فإنه يشهد لروحك أنك ابن لله (رو ٨ : ١٦) .

ربما تكون مؤمناً حقاً دون أن تعرف هذا . فإننى إن أنقذت شخصاً من الغرق قد يأتى الطبيب ويقول : هذا الشخص قد نجا من الموت ، أما الشخص نفسه فقد يبقى ساعتين أو أكثر وهو يجهل هذه الحقيقة . هكذا قد تكون مؤمناً حقاً ، لكن معرفتك بأنك قد نلت الخلاص قد لا تأتى بعد يوم أو بعد شهر أو بعد سنة . لكنك حالما تمتلىء بروح الله تدرك بأنك قد أصبحت ابناً لله ، حتى دون أن تحس بنشوة الفرح . فالمعرفة العميقة لا

يؤثر عليها توفر الانفعالات الروحية أو انعدامها . قد يمنع الله عنا الانفعالات الروحية الحلوة لكى يعرف إن كنا نطلبه حقاً من أجل شخصه .

(٣) النصر على الخطية المعروفة : هل أنت منتصر على الخطية المعروفة ؟ يقول الرسول بولس : « أسلكوا بالروح فلا تكملوا شهوة الجسد » (غل ٥ : ١٦ ـ ٢٢) . إننى لا أسأل هل أنت بلا خطية ، فهذا أمر لا يمكن أن يتم فى هذه الحياة . فى إحدى المرات نظفت الفتاة الغرفة فى الصباح الباكر فى الشتاء على قدر ما تستطيع ، وعند الظهر استدعتها سيدتها فسألتها قائلة : « هل نظفت هذه الغرفة اليوم ؟» ، فأجابت « نعم يا سيدتى » .

عادت السيدة تقول : « لكن انظرى كل هذه الأتربة » . عندئذ قالت الفتاة : « نعم يا سيدتى . لكن النور كان ضئيلاً جداً هذا الصباح والأمر يختلف كل الاختلاف فى نور الشمس».

هكذا أنا لا أسأل إن كنت خالياً من الخطية خلواً مطلقاً . لكننى أسأل هل أنت تحفظ نفسك من الخطية المعروفة وفقاً للنور الذى أعطاه لك الله ؟ إن كنت مغلوباً بصفة مستمرة فأنت

لم تمتلىء بالروح القـــدس بعـــــد .

الروح القدس يطهر من الأفـكار الدنسة والرغبات الدنسة، ومن محبة الذات ، ومن محبة العالم ، ومن كل شىء كريه . أريدكم أن تدركوا بأن الحياة المسيحية لا تتضمن الامتناع عن هذا أو ذاك ، بل تقوم فى التشبع بما هو أفضل لدرجة أن لا تكون لنا رغبة فى الأشياء الخاطئة . إن بعض المـؤمنين يجعلهم تدينهم بؤساء . إن الولد الذى تقدم له مائدة شهية لا يفكر فى العظام التى تتطاحن عليها الـكلاب فى الشارع . وأنت عندما تكون فى حالة شبع كامل فإنك تكون قد خلصت من كل الشوائب . إن كنت ممتلئاً بالروح القدس فإنك تخلص من سلطة الخطية . عندما تمتلىء بيسوع وبالرغبات المقدسة فلا تـكون للخطية قدرة على إغرائك .

أيها المؤمن ، هل تقول بأنك لا تستطيع أن تستغنى عن بعض العادات ؟ أيها الشاب ، هل تقول بأنك لا تستطيع أن تتخلص من تلك العادة الرديئة ؟ أيتها الشابة ، هل تقولين بأنك لا تستطيعين أن تتخلصى من الغيرة والحسد والثرثرة ؟ أخبرونى،

هل يقدم لنا الله مثلاً أعلى ثم يتركنا لنغوص فى وحل عجزنا وتعاستنا ؟ كلا ، فليس يسوع المسيح حقيقة نظرية ، بل هو قوة حية فى حياة المؤمن . إنك تستطيع أن تخلص من سلطة الخطية .

(٤) قوة فى الشهادة : هل لديك هذه القوة ؟ (أع ١ : ٨) « لكنكم ستنالون قوة وتكونون لى شهوداً » . هل تستطيع أن تتحدث إلى الآخرين عن الله ؟ إن كنت تجلس مع شخص يحلف هل تستطيع أن توقفه عن أن يحلف ؟ هل تحس بأن هذا مجهود شاق أم أمر طبيعى ؟ إن كنت تحس به مجهوداً شاقاً فإنك لم تحصل بعد على ما أتحدث عنه ، أما إن كنت قـد حصلت عليه فسوف تجده أمراً طبيعياً سهلاً .

إننى أعتقد بأن ما ينبع من قلوبنا هو الذى يفيد الآخرين ، أما مجهود عقولنا الشاق القهرى الآلى فإنه لا يفيد . ليس أمراً شاقاً على العصفور أن يغرد ، ولا على الطفل أن يضحك ، وهكذا لا يكون أمراً شاقاً عليك أن تتحدث عن يسوع . إن كنت تحيا فى المسيح ، والمسيح يحيا فيك ، فإنه تنبع منك ميـــاه حية وتفيض .

(٥) روح المحبة الطاهرة : هل لك هذه الروح ؟ (أع ٢ : ٤٥ ـ ٤٧) . لست أريد أن أطيل الحديث هنا . هل تعرف المسيح معرفة حقيقية؟ هل أنت متأكد من بنويتك لله ؟هل أنت منتصر على الجسد ؟ هل تقدر أن تحمل الشهادة كما كان يفعل التلاميذ ؟ هل أنت ممتلىء بروح المحبة ؟ إن كنت غير ممتلىء فهنالك ثلاث خطوات ضرورية : الاعتراف ، والتسليم ، والإيمان.

الاعتراف

قبل أن يحل الله فى قلبك يجب أن يتنقى من كل ما لا يليق. لقد كان هنالك فى قلبي منذ بضع سنوات أشياء تمنع الله عن أن يملأه . وإذ جثوت أمام الله كان هنالك شىء فى حياتى بدا لى كأن الله يقول لى :« طالما كان هذا فى حياتك لا يمكن أن يحل فيك ملء الروح القدس ». كان الصراع عنيفاً لأنى أحببت ذلك الشىء ، وكنت أظن بأنى لن أقدر أن أعيش بدونه . لكن هل تعرف بأنى إذ أتطلع إلى الخلف ، إلى هذا الشىء الآن أرى مقدار حماقتى لأنى كدت أخسر كل شىء من أجل هذا الذى أبغضه الآن ، لأنه فى اللحظة التى تكف فيها عن أمر خاطىء

فإنك تبدأ بأن تبغضه .

لعل بعض الرجال منكم الآن يرزحون تحت عادة التدخين . ولعل بعض السيدات يرزحن تحت عادات سيئة . لعلك فى تجارتك تأتى أعمالاً ليست مستقيمة استقامة كاملة . إن كنت ترتكب ما يؤنبك عليه ضميرك فإنك لا تقدر أن تنال الملء . إن كنت لا تقدر بنفسك أن تكف عنه فقل لله : « لست أريد أن أكف عنه ، لكننى أريد أن تكون لى الإرادة » .

التسليم

يجب أن تكون مستعداً لاتخاذ الخطوة التالية وتقول : إننى أسلم نفسى بكليتى لك يا ربى ومخلصى . إننى أضع نفسى على المذبح . إننى أسلم نفسى بكليتى تسليماً مطلقاً لإرادتك ولخدمتك.

الإيمان

إننا « ننال بالإيمان موعد الروح »، وبالإيمان ننال الامتلاء بالروح (غل ٣ : ١٤) ، كما ننال الغفران وكل العطايا الروحية بالإيمان . قد لا تنال نشوة الفرح الفجائية ، لكنك تستطيع أن

تعتمد على أنك نلت حياة الملء إن كنت قد أتممت شروط الله . ثم استمر فى طلب الملء كلما شعرت بأن قوة الروح القدس تتضاءل فى نفسك .

هنالك خمس خطوات يجب أن تتخذها :

١ ـ يجب أن تعرف أن هنالك بركة الامتلاء بالروح القدس.

٢ ـ قل : إن هـذه البركة معدّة لى . ويسوع مستعد أن يمنحها لكل من يؤمن .

٣ ـ لم أحصل على هذه البركة بعد .

٤ ـ إننى مستعد لبذل أية تضحية قد تُرى ضرورية للحصول عليها .

٥ ـ إننى أفتح قلبى الآن لأتقبلها .

إتخذ هـذه الخطوات ، واخرج لتحيا حياة حقيقية . لا تتحدث عن الملء بل عش فيه . أخرج لكى تضىء فى قوة الروح القدس ، فتتكلم وتحب وتتألم (إن دعت الحاجة للتألم) فى قوة الروح القدس .

الفصل التاسع

حبة الخردل

إن معاملات الله للنفس ليس فيها شىء من التحكم أو التغلب. إن كان أى مؤمن قد حصل من الله على قدر من البركات أوفر من غيره فذلك راجع ببساطة إلى أنه قد تعلم فن أخذ بركات أوفر من الله فى حياته من نهر واحد . قد يأخذ إنسان قوة لتسيير ماكينة أقوى مما يأخذ شخص آخر ، ليس لأن فى الماء شىء من التحكم ، بل لأن الشخص الأول عرف كيف ينتفع بقوة الماء أكثر من الآخر . إن القوة الإلهية تفيض بجوارِ كل واحد منا ، وإن أردت الحصول على أكبر قدر من تلك القوة فى حياتك وفى عملك فيجب عليك إتمام الشروط التى وضعها الله .

ويسرنى أن أقول بأن تلك الشروط ليست شروطاً عاطفية ، لكنك ، بغض النظر عن عواطفك وانفعالاتك ، تستطيع أن تدخل فى شركة قوية مع الله الأزلى ، الذى يعمل وفقاً لناموس معين . إن كل ما عليك أن تفعله هو أن تقف بإزاء الله فى موقف

يمكنك من أن تتقبل منه كل ما هـو مستعد أن يهبه للنفس البشرية .

لقد قال الرب لتلاميذه إنهم يجب أن يغفروا بعضهم لبعض سبع مرات فى اليوم إن لزم الأمر ، فأجاب التلاميذ : إنك تتطلب منا أكثر من اللازم . لكن إن كان يجب أن نفعل هذا « فزد إيماننا ». فكانت إجابة يسوع تحمل هذا المعنى : إنكم تخطئون كثيراً . إنكم لا تحتاجون إلى مزيد من الإيمان . إستخدموا ما لديكم من إيمان ، ولو كان مثل حبة الخردل . « لو كان لكم إيمان مثل حبة خردل لكنتم تقولون لهذه الجميزة انقلعى وانغرسى فى البحر فتطيعكم » (لو ١٧ : ٥ و ٦) .

ليست الأهمية فى مقدار الإيمان بل فى نوعه . قد يتبين من بعيد أن حبة الخردل لا تختلف عن حصاة صغيرة . لكن الواقع أن الفرق بينهما عظيم جداً ، فالواحدة ليست فيها حياة تشتعل فى داخلها ، أما الأخرى ففيها حياة أشعلها الله . إن الأمر الوحيد الذى تحتاجه هو أن يكون لك إيمان ، مهما كان قليلاً ، على شرط أن يكون فيه مبدأ الحياة ، أى أن يكون فيه الله . هذا

يكفى لكى ينقل جبال الصعوبات ، ولكى يقتلع شجرة الجميزة ويغرسها فى البحر . هذا يكفى .

والأمر الوحيد الذى يبين إن كان إيمانك من النوع الجيد هو أن يكون متجهاً الاتجاه الصحيح ، أى أن يكون متجهاً نحو يسوع المسيح . إن كان إيمانك صغيراً جداً ، إن كان يتحسس فى الظلام ، إن كان يعجز عن أن يرى وجه يسوع بوضوح ، إن كنت تقضى الشهور الطويلة دون أن تحس بفرح وجودك فى حضرة المسيح ، لكن كان إيمانك يمد يديه المرتعشتين إلى المسيح، فإن هذه الحركة تبرهن على أن إيمانك يربطك بالمسيح ، وعلى أنك ابن لله .

يقول للناس إنها جرأة أن تقول بأنك مخلَّص . لكن هل هى جرأة أن تقول إن الله صادق . وإن كان الله يقول بأن النفس التى تؤمن بالمسيح لها حياة أبدية ، أليست جرأة من جانبك أن تقول بأنه ليست لك حياة أبدية إن كنت تؤمن ، وترفض أن تقول بأنك لك حياة أبدية ؟ هذا يجعل الله كاذباً . إن أردت أن تؤكد بأن الله صادق فاجرأ على أن تقول : إننى بالطبيعة

إنسان خاطىء هالك ، لكننى أتكل على يسوع المسيح ، لذلك فإننى أجرأ على القول بأن لى الحياة الأبدية التى وعد بها الله .

إذن فليس موضوع الإيمان هو الكتاب المقدس بل المسيح الذى يتحدث عنه الكتاب المقدس ، ليس العقيدة بل المسيح الذى تتحدث عنه العقيدة ، ليس الصليب بل المسيح الذى مات عليه والذى يحيا إلى الأبد .

إن كنت فى الوقت الحاضر ، الذى يحيط به الكثير من الجهل وعدم الكمال ، تتمسك بالمسيح الحىّ ، فإن الإيمان الذى لك من نحوه يخلصك . وإننى أفضل أن يكون لى إيمان ضئيل ذو هدف سليم عن أن يكون لى أى قدر من الإيمان ذى هدف غير سليم . إن كان المرء يمسك عوامة النجاة بيد واحدة فإنها تخلصه ، أما إن أمسك بقطعة من الحديد بكلتا يديه فإنه يغرق . لقد التقيت بأشخاص كثيرين فى العالم يتحدثون عن إيمانهم العظيم ، ويقولون إن لهم إيماناً عظيماً بإيمانهم العظيم ، لكن خير لك أن يكون لك إيمان ضئيل بالمسيح عن أن يكون لك إيمان عظيم بإيمانك العظيم . إن الرجاء الوحيد للنفس هو أن تتطلع إلى المسيح .

يقول المسيح له المجد إن الإيمان مثل حبة الخردل ينقل الجبال والأشجار . فماذا يعنى بهذا ؟ إن حبة الخردل تنمو فتصل إلى ارتفاع نحو عشرين قدماً . قد تقول تلك الحبة الضئيلة : أنا لا أستطيع ، أنا واثقة من أنى لن أصل إلى هذا الارتفاع . لكن انتظرى . سوف تسمعين شيئاً آخر حالاً . فهنالك التربة الغنية العميقة تقول لنفسها : ليست لى الوسيلة التى بها أظهر قدرتى النائمة ، والتى لا تجد الفرصة لإظهارها .

لو أننا جمعنا هاتين معاً ، أى الحبة الضئيلة التى تتنهد بسبب عدم قدرتها ، والتربة التى تدرك مقدرتها الكاملة ، لو أن هذه الحبة مكثت فى التربة ، ولو أن التربة سكبت نفسها فى تلك الحبة الضئيلة ، فإنها تعطى ثمراً كثيراً ، وتحقق أقصى إمكانياتها .

إن إيمانك مثل حبة خردل ، وأنت تظن بأنك لن تستطيع أن تنتج حياة مقدسة نافعة ، لكن الله العظيم الأبدى موجود ، وهو أقرب إليك مما تتصور . فلو أن نفسك اتصلت فى صلة حية بالله العظيم الأبدى فلا يوجد شىء لا يستطيع أن يعمله عن طريقك .

وهناك خمس عمليات لإيضاح هذه الحقيقة :

(١) الاتصال

طالما كانت هذه الحبة منعزلة عن التربة ، فى المخزن ، أو على الرف ، أو فى الكيس ، فإنها تبقى وحدها ، أما إن اتصلت بالتربة فعندئذ فقط تثمر . وطالما كانت حياتك منعزلة عن الله ، طالما كنت تبرر ذاتك ، وتقدس نفسك بنفسك ، فإن حياتك لن تثمر . كل هذه المجهودات التى تبذلها ، كأن تركض هنا وهنالك ، وتنشر الإعلانات الجذابة عن عظاتك ، وتعظ فى أقوال منمقة ، وتزين كنيستك ـ هذه كلها تصبح عديمة الجدوى ، لأنك تمنع الله عن أن يتدخل . قد تملأ الصحف ، وتلفت أنظار الناس ، لكنها خشب وعشب وقش لأن الشىء الوحيد المستديم فى حياة الإنسان هو الذى يبنيه الله . لأنك طالما كنت غير متصل بالله فإنك تخسر قوة حياتك الحقيقية حتى وإن كنت تحاول أن تخدم الله بطريقة غير عادية . يجب أن تتحد نفسك بالله بكيفية أقوى مما كانت سابقاً ، يجب أن تكون هنالك صلة مستديمة ، يجب أن تكون « حياتك مستترة مع المسيح فى الله » (كو ٣ :

٣) . يجب أن تختفى عن الأنظار لكى يظهر الله . هذه الحياة التى تحياها لكى تلفت أنظار الناس وتُرضى الناس هذه كلها تعنى محبة الذات وحب الظهور . هذه هى حياة الذات . أما إن دُفنت فى التربة ، فإنه هنالك تكون الفرصة لكى تعمل عملاً يدوم لمجد الله .

(٢) العزلة

إن البذرة الصغيرة إذ تسقط فى الأرض تبقى فى عزلة كاملة عن رفيقاتها ، وتستمر شهراً بعد شهر فى طيات الأرض ، وتنتظر فى سكون وفى عزلة .

كثيراً ما يحدث هذا للمؤمن فى غرفة المرض ، أو عندما ينقلب عليه الناس . فى بعض الأحيان تتحول الكنيسة عن راعيها ، أو ينظر الأصدقاء والمحبون شذراً للشخص الذى كرس حياته كلها لله . إن البذرة الصغيرة تسقط فى الأرض وتبقى وحيدة فى قبرها الصغير ، وترقد متصلة بالتربة . وهكذا النفس كثيراً ما تتجرد من كل معونة إنسانية ومن كل تعزية بشرية ، فتبقى ، لأول مرة فى حياتها ، وجهاً لوجه أمام الله فى المسيح ، وهكذا تختبر النفس أنها من تلك اللحظة سيكون الله هو الأول والآخر

فى حياتها . عند ما يكون الله هو الكل فى الكل يكون هناك الوعد بأعظم النتائج .

(١) الموت

كل شجرة تنمو من قبرها ، وكل عود من نبات القمح ينمو من قبره . وأنت عندما تسير وسط حقل من الحقول فإنك تسير وسط مجموعة كبيرة من القبور . تجد تحت قدميك مئات من البذور مقبورة . لقد ضحت البذرة بقوتها لتبارك الناس بالخبز باضطجاعها هناك فى عزلة القبر .

آه ، قد تكون هذه هى الخطوة الضرورية والحالة اللازمة لانتظار الحصاد .

قيل عن أحد الخدام المقتدرين إنه عندما كان يعظ فى كاتدرائية ستراسبورج كانت تمتلىء بجمهور المعجبين . وفى أحد الأيام جاءه رجل فلاح بسيط من سويسرا يدعى نيقولا ، وكان متعمقاً فى دراسة الكتاب المقدس . فقال للخادم : « أريد أن أعترف لك » . وإذ كان يصغى إلى اعتراف ذلك الفلاح البسيط أدرك ذلك الخادم أن حياته ـ بعد كل جهاده الماضى ـ فاشلة . وعن طريق ذلك الفلاح سمع صوت الله يقول له : « أيها الواعظ

القدير ، يجب أن تموت ، يجب أن تموت قبل أن تكون حياتك مثمرة حقاً » . فانسحب الخادم وذهب إلى ديره ، واختلى فى صومعته سنة كاملة . وهناك جرده الله من اعتماده على فصاحته وذكائه وعلى قدرته البشرية . وبعد تلك السنة خرج من صومعته ، ووقف ثانية فى منبره . فكان يعظ باقتدار وقوة ، حتى أصبحت عظاته ، ولا زالت ، بركة للمئات والألوف من قارئيها .

فى بداية حياتنا نشعر بأننا أقوياء ، ونقول بأننا سوف ننجح بعقلنا الراجح ، وتفكيرنا الثاقب ، وعلمنا الغزير ، وفصاحتنا ، وأننا سوف نكتسح العالم أمامنا . لكن يأتى وقت فى حياتنا حيث نجد أن كل هذا لا قيمة له ، فنجثو أمام الله قائلين : ربى وإلهى ، لقد تركت الاعتماد على كل هذا . وفى اللحظة التى نعتمد فيها على مصادر القوة الإلهية تبدأ النعمة تفيض من حياتنا . قد لا يلقى الواعظ فيما بعد عظات بليغة ، لكنه يقدم رسالة الله . لا يعود يعمل من أجل الله ، بل يصبح الله هو العامل فيه . هذا هو معنى الموت عن الذات .

(٣) القبول

عندما يأتى الربيع تستمع البذرة الصغيرة ، وهى راقدة فى

قبرها الصغير ، من يقرع على بابها ، إذ تكون قد مزقت ثوبها الخارجى المانع للماء . وإذا بالقارع هـو الطبيعة الأم . فتقول الطبيعة :

ـ أتسمحين لى بالدخول ؟ فتصرخ البذرة من الداخل قائلة :

ـ ليس لى شىء أعطيه لك ، إننى محطمة ، لا حول لى ولا قوة ، ممزقة وفى آخر درجات الضعف . لـكن الطبيعة الأم تقول:

ـ أتسمحين لى بالدخول ؟ فتجيب البذرة :

ـ تستطيعين إن أردت .

عندئذ يُفتح الباب ، وتسكب الطبيعة مجهودها العجيب فى حبة الخردل الصغيرة المحطمة المهشمة ، فتبدأ الحياة تنبض ، فتظهر من سطح الأرض نبتة صغيرة ، وإذ تتطلع حولها تقول : الآن لعلى أستطيع أن أصير شجرة ، إن كانت الطبيعة تستمر فى سكب جهودها فىّ ، فليس شىء غير ممكن .

وهكذا تصبح حبة الخردل شجرة . ليس السر فى حبة الخردل بل فى الطبيعة التى تعمل فيها . ليس السر فيك بل فى الله العامل فيك . لا يبقى بعد أى أثر لجهودك البشرية الجبارة التى أردت أن تتظاهر بها أمام الشعب ، لـكن الله هو الذى يتكلم فيك .

إن الله هو العامل فيك أن تريد وأن تعمل من أجل مسرته .

إن أدركت هذه الحقيقة فإنها تنعش حياتك كما أنعشت حياتى . إن كان الله يعمل فيك فإن الجبال التى تقف أمامك تنتقل وتُلقى فى البحر . لا يعسر شىء على من تعلم كيف يكون وسيلة فى يد الله يستخدمها كما يشاء .

(٥) الشخصية

إن حبة الخـردل تنبت شجرة خردل ، وحبة الحنطة تنبت حنطة ، وحبة البلوط تنبت شجرة بلوط .

نحتاج أن نفهم معنى التعاون مع المسيح ، ففى حياة المسيح على الأرض قلما صنع معجزة دون توفر الإيمان فى شخص ما ؟ كان المسيح فى حياته على الأرض يتطلب بذرة الإيمـان لـكى يتمم معجزاته . لا يتضمن الأصحاح الحادى عشر من إنجيل يوحنا حديثاً عن إقامة لعازر بقدر ما يتضمن الحديث عن إقامة مرثا . لقد أتى الرب يسوع إلى بيت عنيا فوجد أن لعازر قد مات . كان يتطلب الإيمان لـكى يتمم المعجزة . كان التلاميذ لا يصلحون لشىء لأن الخوف قد ملأ قلوبهم ، وكانت مريم فى البيت ،

فبدأ يعمل فى مرثا لكى يكشف طبيعتها . والإيمان تحييه المواعيد. لهذا قدم إليها وعداً : « سيقوم أخوك » . فأجابت مرثا : « أنا أعلم أنه سيقوم فى اليوم الأخير » .

هذا ما نفعله نحن دواماً . فنحن نظن بأن العجائب تحدث قبل أن نولد ، وبعد أن نموت ، وأن السماء تلمس الأرض فى الأفق البعيد جداً عنا . لكن المسيح قال لمرثا : أتتحدثين عن اليوم الأخير ؟ أتنتظرين اليوم الأخير ؟ « أنا هو القيامة » . وبعد فترة وجيزة ذهبا إلى القبر ، وأراد المسيح أن يبعث الإيمان فى مرثا ، فقال لها « ألم أقل لك إن آمنت ترين مجد الله ؟» . وأعتقد أنها أجابته إجابة تنم عن عودة إيمانها ، الذى تعاون مع قدرة المسيح - إن جاز لنا هذا القول - فأقام لعازر .

لا تفكر فيما بعد فى إيمانك بل فى المسيح . أصمت أمام الله . إفتح له كل نفسك لكى يعمل فيك . كل شىء فى الحياة متوقف على ما إذا كنا نعمل من أجل الله ، أو نسمح لله بأن يعمل فينا . سلم إذن أعضاءك آلات بر لله . إجعل إرادتك متوافقة مع إرادة الله ، وعندئذ يحق لك بأن تتوقع أن يعمل الله فيك لنقل الجبال وأشجار الجميز .

الحيـاة قصيدة شعرية

للانسان حياة واحدة ليحياها . ويجب على كل واحد أن يشتاق بأن يقضى هذه الحياة فى خدمة الله وخدمة البشرية فى أقصى طاقاتها . نجد فى (أف ٢ : ١٠) كلمات تعيننا طالما كنا أحياء : « لأننا نحن عمله مخلوقين فى المسيح يسوع لأعمال صالحة قد سبق الله فأعدها لكى نسلك فيها » .

والكلمة « مخلوقين » تعنى فى اللغة اليونانية قصيدة شعرية. فنحن قصيدة الله الشعرية . وإنى أعتقد بأن كل إنسان إنما هو فكرة إلهية محددة . فى كل واحد منا جسّم الله فكرة أصلية. وكما إن الشاعر لا يكرر كلامه ، بل يضع فى كل بيت من قصيدته فكرة جديدة ، هكذا لا يكرر الله فكره فى أية نفس بشرية . حالما يتمم عمله يحطم القالب الذى صاغ فيه النفس البشرية . إذاً فلنذكر بأننا يجب أن نتمم فكر الله الأصلى . لقد أضعت عشر سنوات من أفضل أيام حياتى فى محاولة الاقتداء بالآخرين . ومع

أننا نحصل على معونة كبيرة من أصدقائنا ومن دراسة سير القديسين ، إلا أننا يجب دواماً أن نرجع إلى الله لنعرف ماذا يقصده لنا ، وعندئذ نطالب منه أن يتمم فى حياتنا فكره إلى أقصى حدود الإمكانيات .

هل أنت مستعد لقبول هذا ، ومستعد أن تسلم نفسك لله يوماً فيوماً لكى يتمم عن طريقك مقاصد إرادته الكاملة ، قصيدته الشعرية عن القوة ، أو الطهارة ، أو المحبة ؟ .

فى رسالة أفسس هذه يستخدم الرسول بولس ، من أولها إلى آخرها ، حرف الجر « فى » ويخبرنا عن مركزنا فى المسيح يسوع . وكما أن هذه الخليقة كلها كانت فى فكر الله لكى يتممها خطوة فخطوة إلى أن تصل إلى حد الكمال ، هكذا كانت كل الكنيسة فى فكر يسوع المسيح قبل أن تبدأ الجبال أو قبل أن يصور الأرض . وأنت وأنا كان معيناً لنا مركز معين فى ذلك الجسد العجيب . ونحن لا نستطيع أن نتبين هذا المركز بوضوح كامل إلا عندما نقف أمام الله فى النور الأبدى . لكنه يعزينا أن نعرف أنه كان هنالك مركز معين فى قصد الله من جهتك ومن جهتى .

ألا يعطى هذا معنى جديداً لحياتك ، ويضفى شرفاً جديداً ؟ أنها هى إتمام فكر الله ، وأنك يجب أن تحاول كل يوم بأن تسلك لكى تحقق القصد الذى كان فى فكر الله عندما خلقك فى المسيح يسوع . إذ يتطلع المرء إلى الرجال والنساء والأشياء يبدو له أن الحياة مليئة بالأمور العادية والهموم والاضطرابات والمصائب ، حتى يخيل إليه أن الطريقة التى بها يعيش ليست أمراً ذا بال ، لكن إذا ما تذكرنا أن هنالك قصداً أزلياً فى المسيح فى أمر تجديدنا فإننا نحاول دواماً أن نتصرف كما يحقق لدعوتنا العليا فى المسيح يسوع .

إن أعظم ما تستطيع عمله فى هذا العالم هو أن تحيا حياة طاهرة نقية جميلة . إن كل الأمور الصغيرة فى حياتك ، الاضطرابات والانزعاجات والهموم ، ومسكنك ، والوسط المحيط بك ، والطريق الذى أنت مضطر أن تسلكه ـ هذه كلها قد دبرها الله ليعطيك أفضل فرصة ممكنة لكى تصير كما يريدك أن تكون . كان ممكناً أن يجعلك الله شيئاً آخر . كان ممكناً أن يجعل هذه السيدة ملكة ، كان ممكناً أن يجعل هذا الرجل صاحب ملايين

أو أميراً . لكن من بين عشرات الألوف من الفرص فى هذا العالم اختار لك الله القدير ذلك المركز الذى تجد فيه نفسك اليوم ، لأنه عرف أن هذا المركز هو الوحيد الذى عن طريقه يمكنك أن تحقق مثله الأعلى .

ربما يكون هنالك حزن شديد فى حياتك . ربما يكون هنالك شخص يزعجك ويضايقك جداً . لكن ضع فى فكرك دواماً أنه لا يوجد أمر تافه فى حياتك لم يدبره الله لكى يجعلك قريباً من مثله الأعلى .

والآن تأمل فى حياتك . لقد كنت متبرماً متذمراً ، كنت تحسد ، كنت تتوق إلى أن تتحرر ، كنت تغمض عينك عن الأشياء الجميلة لأن هنالك شيئين أو ثلاثة ليست كذلك . لم تنتبه إلى ما يمكن أن يسمو بحياتك ويعزيك لأنك تحصر تفكيرك فيما يؤذيك . ليس هذا هو الطريق السوى للحياة . لكن الطريق الصحيح هو أن تتعلم درسك يوماً فيوماً ، وأن تقدم إرادتك لإرادة الله يوماً ، فيوماً ، لكى تتوافق إرادتك مع إرادة الله .

سماح الله

ولعل أحداً يقول : إننى مستعد تماماً للاعتراف بأن مركزى

الحالى هو بصفة عامة نتيجة اختيار الله . لكن لا يمكن أن تكون متاعب الحياة التى تأتينى من أشخاص آخرين هى من اختيار الله . إننى أضع فاصلاً بين ما يعيّنه الله مباشرة وبين ما يأتينى عن طريق تدخل أشخاص آخرين .

لقد كنت أنا أيضاً أفرّق بين هذا وذاك ، ولكننى إذ كنت أفعل هذا ما كنت أجد راحة . علاوة على هذا إننى أرى بأننا أنت وأنا محاطون بعناية الله . هب أن شخصاً صوّب نحوى سهماً سماً ، سواء بنشر مقال فى الصحف أو بتوجيه نقد جارح ، فاتجه هذا السهم نحوى . إن الله القدير يستطيع أن يحوله عنى بترس عنايته . لكن هب أنه حول عنى هذا الترس فأصابنى السهم ، ألم تكن هذه هى إرادته من نحوى ؟ ولهذا فإننى فى كل أيام حياتى أعتقد بأنه لا يمكن أن يحدث لى شىء ، مهما كان حقيراً أو تافهاً ، دون أن يستخدمه الله لكى يخلصنى من نفسى ويزيدنى اقتراباً من المنهج الذى فى فكره من جهتى .

ينبغى أن نبقى فى المكان الذى أراده الله لنا ، مرتضين تحمّل كل الأخطار لأن الله وضعنا هناك ، ثابتين فى مراكزنا بهدوء

وسط المتاعب والآلام ، ونحن نعد ثماراً طيبة لكى يشترك فيها زملاؤنا المؤمنون ، وإذ نقدم ثمار حياة القداسة فى هذا العالم فنحن إنما نتمم مقاصد المسيح من جهة حياتنا .

لكى نسلك فيها

« مخلوقين فى المسيح يسوع لأعمال صالحة قد سبق الله فأعدها لكى نسلك فيها » . ليس عليك أن تخلق طريقك ، بل أن تكتشفه. ليس عليك أن تشق طريقك وسط الصخور والغابات المتشابكة ، بل أن تكتشف الطريق الذى أعده لك أبوك السماوى من اللحظة التى سلمت فيها نفسك للمسيح إلى اللحظة التى فيها ترجع وطنك السماوى . لا تنس قط أنك خُلقت لطريق معد . إن الله الذى كان يعلم علماً تاماً كل ما فى الطريق ، قد خلقك للطريق وخلق الطريق لك ، وليست حياتك إلا مجرد اكتشاف للطريق الذى أعده الله لذلك اليوم . قد يكون الطريق وسط المراعى الخضراء ، أو فى الأرض الجدبة . قد يكون موحشاً أو وسط ازدحام البشر، لكن اعلم أيها الحبيب أن طريقك أُعد لك قبل تأسيس العالم بحكمة الله ومحبته .

هنالك أمران ضروريان لنا أجمعين ، الأول أن نعرف الطريق ، والثانى أن نؤتى قوة للسلوك فيه ، وأريد أن أتحدث عنهما .

الإرشاد

كيف يمكننى أن أعرف ما هو الطريق المعد لى ، سواء ليوم واحد ، أو لكل حياتى ؟ فى (عب ٨ : ١١) يقول الرسول: « ولا يعلمون كل واحد قريبه وكل واحد أخاه قائلاً اعرف الرب لأن الجميع سيعرفوننى من صغيرهم إلى كبيرهم » .

قبل أن يتحدث الرسول عن العهد الجديد نجد كلمة الله لموسى: «أنظر أن تصنع كل شىء حسب المثال الذى أظهر لك فى الجبل» (عب ٨ : ٥) . أصمت أمام الله ، وفى ذلك الصمت تتخلص من انزعاجك ، ومن مجهودك الشخصى ، ومن نشاط الجسد . سوف تغض الطرف عن الكثير من تدبيراتك ، وتتعلم بأن ترى خطة الله والمثال الذى وضعه ، والذى قد يختلف جداً عن المثال الذى تفكر فيه أنت . داوم على الصلاة ، افتح قلبك لله ، وللحال يظهر لك مثال الخيمة بكل تفاصيلها الدقيقة ، وعندئذ تنزل من الجبل

لكى تنفذ ما أعلنه لك الله .

ولاحظ بأنه عندما يأمر الله فإنه يهيىء المواد اللازمة للبناء . إنه لم يعط موسى قط خطة دون أن يهيىء له المواد اللازمة . لو كان موسى قد أضاف إلى الخيمة شيئاً من عندياته لكان قد اضطر إلى أن يدبر بنفسه ما يلزمه ، لكنه طالما كان يعمل وفقاً للمثال الذى أعده الله فقد كان الله ملزماً بإعداد المواد .

إسمح لى الآن بأن أوضح لك كيف تعرف طريق إرادة الله . عندما كنت أعبر بحر أيرلندا فى ليلة مظلمة وقفت على ظهر السفينة وقلت لقائدها : كيف تعرف ميناء « هولى هيد » فى ليلة مظلمة كهذه ؟ . فأجاب : أترى تلك الأنوار الثلاثة البعيدة ؟ يجب أن نضعها خلف بعضها فى صف واحد ، وعندئذ نعرف موضع الميناء بدقة .

ونحن عندما نريد أن نعرف إرادة الله فهنالك ثلاثة أشياء تتفق معاً دواماً : الإيحاء الداخلى ، وكلمة الله ، واتجاه الظروف . فالله فى الداخل يدفعك إلى الأمام ، والله بكتابه يؤيد ما قاله فى القلب ، والله يعمل فى الظروف التى تبين دواماً إرادته . فلا تتحرك أبداً إلا إذا وجدت هذه الثلاثة تتفق معاً .

أيها الشاب ، قد يتوفر لديك الإيحاء الداخلى بأن تكون خادماً لله ، لكنك تجد بأنك مضطر لإعالة أمك المريضة . هذا معناه أن سير الظروف لا يتوافق مع الإيحاء الداخلى إذن فيجب عليك أن تنتظر . إن كنت لا تعرف ماذا تفعله بعد ذلك فانتظر حتى تعرف . وإن كان الله لم يوضح الطريق بعد نقطة معينة فانتظر حتى يوضح . ضع كل المسئولية على الله .

هنالك مثل رائع فى (أع ١٢ : ١٢) عن الطريقة التى بها يتركنا الله لتصرفنا إن كان كافياً . كان بطرس فى السجن . لم يكن ممكناً أن يخرج ، ولهذا جاء إليه الملاك وقاده للخروج ، فانفتح الباب من تلقاء ذاته . وأنت عندما تكون فى رفقة ملائكة الله فإنك ترى الأبواب تنفتح من تلقاء ذاتها .

بعد ذلك أخذ الملاك بطرس وتقدم به زقاقاً واحداً ، لأنه كان يظن أنه « ينظر رؤيا » أو حلماً . وإذ انتبه إلى نفسه فارقه الملاك . « ثم جاء وهو منتبه إلى بيت مريم أم يوحنا الملقب مرقس » ، وهكذا ترى أن الملاك رافقه إذ كان فى شبه غيبوبة ، ولكنه عندما استيقظ قال الملاك : الآن يا بطرس أنت قد عدت إلى رشدك ، وتستطيع أن تجد طريقك بدون رفقتى لك ، ولهذا

فإنى سأتركك .

إن الله يرشدك فى تفكيرك ، وعندما يكون تفكيراً سليماً فلا تتوقع حدوث معجزة ، لأن الله لا يبذر فى صنع معجزاته .

أولاد الله البلداء

كلما كنتَ بليداً فى الفهم وجب أن يزداد اعتمادك على الله . وإننى أعتقد بأن البليد إذا اعترف بأنه بليد ، دون أن يدعى بأنه حكيم ، فإنه ينال الكثير من الله . كان توما بليداً ، عاش أسبوعاً متخلفاً عن باقى الرسل . لكننا نعلم كم كان يسوع مشتاقاً أن يشرح لتوما سر قيامته ، وكيف جاء خصيصاً لإغاثته .

إن كان لى ثلاثة أولاد أو أربعة أذكياء وواحد بليد ومتخلف فى الفهم ، وقلت للجميع إننى أريد أن أخرج معهم إلى الغابات لنجمع زهور الربيع إذا ما قابلونى فى مكان ما ، ربما أجد أن الابن البليد لم يفهم كلامى ، فهل أدعه يُحرم من النزهة التى هو أكثر حاجة إليها من إخوته ؟ هل أعاقبه من أجل بلادته . كلا ، لكننى آخذه فى حضنى ، وأفسر له كلامى ، وإن ظل غير فاهم فإننى أقول له : إنتظر هنا ، وسوف آخذك معى بعد الغداء . وهكذا ينال منى الولد البطىء الفهم عطفاً أوفر ممن ذهبوا

لينتظرونى فى المكان المعين وفى الموعد المحدد .

إن كنت واحداً من أولاد الله البلداء الذين لا يستطيعون فهم معانى كلامه فانتظر حتى يأخذك الله من يدك ويقول : تعال معى . لأنه هو ملتزم بأن يجعلك تفهم وتعرف .

هب أنك وجدت نفسك أمام صعوبة كبرى بعد أن تكون قد طلبت منه الإرشاد ، وتصرفت التصرف الذى اعتبرته أحكم تصرف ليس هذا دليلاً على أنك قد ارتكبت أى خطأ ، أو أنك لست فى طريق الله إنه يدل ببساطة على أن أى طريق آخر لم يكن ممكناً اجتيازه . هذا الطريق المحفوف بالصعوبات سوف يسهل اجتيازه فى الحال . حيثما اعتزمت السلوك فى طريق ما معتمداً على الله ، وطالباً منه أن يغلقه إن كان خاطئاً ، فاستمر فى السلوك فيه . لإنه لو لم يكن هو الذى أعد لك هذا الطريق لكان قد أغلقه أمامك .

قوة للسلوك فى الطريق

وعندما تعرف طريقك يجب أن تتعلم كيف تستخدم القوة التى فى متناول يدك للسلوك فيه . إن الآلام والأحزان والاضطرابات التى تقابلك معروفة من قبل ، وفى المسيح نعمة

لكفيها كلها . وقد قصد بها الله أن تضطرك بأن تأخذ من المسيح
ما لم يكن ممكناً أن تأخذه بغيرها . لقد سُمح للعمى بأن يأتوا إلى
المسيح لكى يتبينوا بأن فيه الشفاء من العمى وسُمح للخرس والصم
بأن يأتوا إليه لكى يسمعوا ويتكلموا . كما أخذ الموتى إلى المسيح
لكى يعرف كل العالم الحياة التى فى المسيح .

لعلك إلى الآن كنت تنظر إلى إحدى التجارب فى حياتك
بشىء كثير من الانزعاج ، وكنت تحاول أن تغلبها فغلبتك ،
وطوّحت بك إلى الأرض مرة ومرات ، ذلك لأن يسوع يريد
أن يبين لك مقدار ما يستطيع أن يعمله من أجلك . لقد قصد الله
لك أن تحيا حياة ملكية نبيلة ، وأنت تستطيع أن تجد فى يسوع
المسيح كل ما يساعدك على أن تحيا هذه الحياة . لقد رأيت المثل
الأعلى لكنك لم تجرؤ على أن تحققه لأنك ظننت أن رأس المال
غير متوفر لديك ، مع أن فى يسوع المسيح متوفر ملء البركة .
« بارك كنا بكل بركة روحية فى السماويات » (أف ١ : ٣) . « فإنه
فيه يحل كل ملء اللاهوت جسدياً » (كو ٢ : ٩) . « كما أن
قدرته اللاهوتية قد وهبت لنا كل ما هو للحياة والتقوى »
(٢ بط ١ : ٣) .

كلما دفعنى الله إلى مسئولية جديدة فإننى دواماً أذهب إليه
واثقاً أنه سوف يعطينى قدراً أوفر من معونته .

لعلك تفهم نظرياً ما أقول ، لكن ألم تتعلم قط كيف تأخذ من
المسيح ؟ إذا ما قلت لك : كفى صلاة . لقد صليت بما فيه الكفاية .
كف عن الصلاة وخذ . فهل تفهم ماذا أعنى ؟ لقد كنت تصلى
إلى الله كأنك تحاول أن تأخذ منه قهراً ، وبصعوبة شديدة جداً ،
ما صليت لأجله . عندما تصلى من أجل أى شىء فتقبله منه .
بعد أن تفرغ من الصلاة اصمت وخذ .

« كل ما تطلبونه حينما تصلون فآمنوا أن تنالوه فيكون
لكم » (مر ١١ : ٢٤) . عندما تثق فى أحد مواعيد الله ثقة
كاملة فاعتبر بأنك قد حصلت على هذا الوعد سواء شعرت بهذا
أو لم تشعر .

كل هذه الحقائق سوف تتعلمها واحدة فواحدة إن كنت
فقط تسلم نفسك لله أعطه عقلك لكى يفكر فيك. أعطه قلبك لكى
لا توجد فيه أية محبة سوى محبته . أعطه يديك ، وجسدك ،
وكل حياتك ، لكى يتمم إرادته عن طريقها ، ثم استمر فى التطلع
إليه ، واستمر فى أن تتقبل منه ما تحتاج إليه .

رقم الإيداع ٦٠٠٥ / ١٩٧٦

الترقيم الدولى ٠ - ١٩ - ٧٠٥١ - ٩٧٧